وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة قاصدي مرباح ورقلة

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية

مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات شهادة ماستر أكاديمي

ميدان العلوم الانسانية والاجتماعية

شعبة: الفلسفة

التخصص: فلسفة عامة

مذكرة بعنوان:

تاريخ الفلسفة عند ويل ديورانت

إعداد الطالبة:

حساني إكرام

إشراف الأستاذ:

د.برابح عمر

أعضاء لجنة المناقشة

لقب واسم الاستاذ	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
الزيغمي أحمد	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	رئيسا
برابح عمر	أستاذ محاضر أ	جامعة ورقلة	مشرفا ومقررا
لعموري شهيدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2025/2024

إهـــداء

إلى من غرسا في قلبي بذور القيم، وسقياها بتعب السنين،

إلى والدي العزيز» "**حساني محمد الطاهر**" ووالدتي الغالية "**مبروكة بلخيرة**"

تعبكما ورضاكما سر نجاحي، فلكما كل الحب والتقدير والامتنان.

إلى نور حياتي وأعز ما أملك،

فلذات كبدي: "**مارية، خديجة، باتول، محمد، أكرم**"،

أنتم الحلم الذي كبر معي، وبكم يزهر مستقبلي.

وإلى صديقة القلب والروح، من وقفت بجانبي في كل الظروف،

ريمة بوسعيد

شكراً لصدقك ورفقتك ودعمك الذي لا يُقدّر بثمن

شكر وعرفان

الحمد لله أولاً وآخرًا، ظاهرًا وباطنًا، على عظيم نعمه التي لا تُحصى، وعلى فضله الذي لا يُرد، وعلى كرمه الذي لا ينفد والصلاة والسلام على خير الخلق، الهادي البشير، سيدنا محمد، صلى الله عليه وسلم، وعلى آله وصحبه أجمعين

بكل فخر وامتنان نتوجه بالشكر إلى المولى عز وجل الذي وفقنا وأعاننا على إتمام هذه الدراسة، ويسّر لنا سُبل العلم والتعلّم

وإن من تمام الخلق وواجب الوفاء أن نخص أستاذنا المشرف الدكتور " **برابح عمر**" بأسمى عبارات الشكر والتقدير لما لمسنّاه فيه من تواضع جم ورفعة أخلاق ولما أفادنا به من علم غزير وتوجيهات سديدة كانت النبراس الذي أنار لنا طريق البحث منذ بدايته وحتى اكتماله فجزاه الله عنا خير الجزاء وبارك له في علمه وعطائه

ولا يفوتنا أن نعبر عن بالغ شكرنا وامتناننا لكل أساتذة كلية العلوم الانسانية والاجتماعية الذين كان لهم بالغ الأثر في تشكيل معارفنا، وتركوا في أنفسنا ذكرى طيبة لا تُنسى

كما نرفع تحية خاصة إلى كل من ساعدنا وساندنا من قريب أو بعيد في إنجاز هذا العمل المتواضع وخاصة أولئك الجنود المجهولين الذين كان لأفعالهم الصامتة أثر عميق في بلوغنا هذه المرحلة فلكم جميعًا أصدق عبارات التقدير والعرفان

الملخص:

في كتابه الشهير *قصة الفلسفة*، يسعى المؤرخ الأمريكي **ويل ديورانت** إلى تقديم الفلسفة بأسلوب مبسّط وجذاب، يخاطب من خلاله جمهورًا واسعًا يتراوح بين القارئ العادي والمثقف المتخصص. اعتمد ديورانت في مشروعه هذا على مزيج من **السرد الأدبي والتحليل الفلسفي**، فكان هدفه الأساسي تقريب الفلسفة من الناس، ونقلها من جمودها الأكاديمي إلى حيوية الحياة اليومية. وقد تميز أسلوبه بالوضوح والعمق في آنٍ واحد، مما جعل الكتاب أحد أكثر الأعمال رواجًا وتأثيرًا في القرن العشرين. تتميّز رؤية ديورانت للفكر الفلسفي كجزء من **القصة الإنسانية الكبرى**، حيث تكون كل فكرة كبرى ناتجة عن معاناة، أو صراع داخلي، أو تطلّع إلى الحرية والتجاوز. لقد نجح في تجاوز الأسلوب الأكاديمي الجامد، وجعل من الفلسفة خطابًا حيًا ينبض بالحياة والإنسان، وهو ما منح الكتاب مكانة مميزة في الوعي الفلسفي الحديث.

Abstract:

In his famous book, The Story of Philosophy, American historian Will Durant seeks to present philosophy in a simplified and engaging style, appealing to a broad audience ranging from the general reader to the specialized intellectual. Durant relied on a combination of literary narrative and philosophical analysis in this project, with his primary goal being to bring philosophy closer to the people and transform it from its academic rigidity to the vitality of everyday life. His style was characterized by clarity and depth at the same time, making the book one of the most popular and influential works of the twentieth century. Durant's vision of philosophical thought is distinctive as part of the greater human story, where every major idea is the product of suffering, inner conflict, or aspiration for freedom and transcendence. He succeeded in transcending the rigid academic style and transforming philosophy into a living discourse, pulsating with life and humanity, which has given the book a distinctive place in modern philosophical consciousness.

Résumé:

Dans son célèbre ouvrage *L'Histoire de la philosophie*, l'historien américain Will Durant cherche à présenter la philosophie de manière simplifiée et captivante, s'adressant à un large public allant du lecteur général à l'intellectuel spécialisé. Durant s'appuie sur une combinaison de narration littéraire et d'analyse philosophique, avec pour objectif principal de rapprocher la philosophie du grand public et de la libérer de sa rigidité académique pour lui insuffler la vitalité de la vie quotidienne. Son style se distingue par une clarté alliée à une profondeur, ce qui fait de ce livre l'un des ouvrages les plus populaires et influents du XXe siècle. La vision de Durant sur la pensée philosophique s'intègre dans l'histoire humaine globale, où chaque idée majeure naît de la souffrance, du conflit intérieur ou d'une aspiration à la liberté et à la transcendance. Il a réussi à dépasser le style académique rigide pour faire de la philosophie un discours vivant, vibrant d'humanité, conférant ainsi à son livre une place particulière dans la conscience philosophique moderne.

إهداء	
شكر وعرفان	
ملخص	
قائمة المحتويات	
المقدمة	أ
الفصل الأول: الفلسفة اليونانية عند ديورانت	
المبحث الأول : تاريخ المدارس الفلسفية الكبرى	1
سقراط	1
أفلاطون	5
أرسطو	9
الفصل الثاني: تاريخ الفلسفة الحديثة	
المبحث الأول: تاريخ الانتقال من التقليد إلى التحديث	17
فرانسس بيكون	17
باروخ سبينوزا	19
المبحث الثاني :تاريخ الأنوار ونهاية الحداثة	21
فولتير	21
إيمانويل كانط	22
جورج فيلهلم فريدريش هيغل	24
آرثر شوبنهاور	26
هربرت سبنسر	28
فريدريك نيتشه	29
الفصل الثالث: تاريخ الفلسفة المعاصرة	
المبحث الأول: الفلسفة المعاصرة في أوروبا	34
هنري برغسون	35
بندتو كروتشي	38
برتراند راسل	42
المبحث الثاني:الفلسفة المعاصرة في أمريكا	45
جورج سانتيانا	45

وليم جيمس	48
جون ديوي 2	50
الخاتمة	51
قائمة المراجع	55

قائمة المحتويات

المقـدمـة

في استهلاله لمشروعه الموسوعي في تاريخ الفلسفة، لا يقتصر ويل ديورانت على تقديم سرد تاريخي أو استعراض نقدي لمواقف الفلاسفة، بل يقدم تأملاً تأسيسيًا في ماهية الفلسفة ذاتها، وانطلاقتها من سؤال الإنسان الوجودي الأصيل. فالفلسفة، عند ديورانت، ليست مجرد منظومة من الأفكار أو نظامًا نظريًا جامدًا، بل هي تجلٍّ حيٌّ للروح الإنسانية التي تسعى إلى فهم ذاتها والعالم في آن واحد، محاولًة أن تتجاوز حدود المألوف والعادة نحو فضاء الحكمة والشمولية. هي التعبير الأسمى عن عقلٍ متطلّع إلى المطلق، وضمير يتساءل عن شروط المعرفة، الوجود، والحق.

يبدأ ديورانت مقدمته من نقطة الاعتراف بالذات الفلسفية كفاعل متحرّك في تاريخ الأفكار، حيث لا تُولد الفلسفة من فراغ، وإنما من الاحتكاك العميق مع ظروف الوجود: المآزق الاجتماعية، الإشكاليات السياسية، الأسئلة الأخلاقية، والتجارب الدينية التي تعيشها البشرية. هذه الفلسفة، بهذا المعنى، ليست كيانًا مفصولًا عن التاريخ، بل هي انعكاس حي لمسيرة الإنسان، لتقلباته وأزماته، لشغفه بالحقيقة ومأساته أمام اللغز الأزلي للوجود. لذا، فإن فهم الفلسفة يستوجب استيعاب هذا السياق التاريخي الوجودي، لأن الفكرة الفلسفية تظل في حركة دائمة، متنقلة بين اللحظة الفردية ولحظة العموم، بين الذات والعالم.

ويوضح ديورانت أن الفلسفة، من حيث هي تجسيد للعقلانية، تعيش حالة تشظي وتوتر بين مسارين متوازيين: مسار الإيمان الديني، الذي يسعى إلى تثبيت معاني وجودية عبر سلطة مطلقة، ومسار العقل النقدي، الذي لا يرضى إلا بالتساؤل الدائم والتشكيك المستمر في كل سلطة، بما فيها سلطة الدين. هذا التوتر هو الذي يغذي الفلسفة ويدفعها إلى التحرر المستمر، وهو ما يجعل منها نشاطًا ثوريًا وناقدًا. في ذلك، الفلسفة ليست رفضًا للدين، بل استدعاءً للعقل كي يضطلع بدوره في صياغة معنى الوجود بطريقة تتجاوز مجرد التسليم الأعمى، إلى تأويل واعٍ.

من جهة أخرى، يؤكد ديورانت على أن الفلسفة ليست مجرد استنتاجات نهائية أو مجموعات من المفاهيم المحصورة، بل هي حركة سؤال لا تهدأ، ودفق تأمل لا ينقطع، يضع الإنسان في موضع المسؤولية الفكرية والوجودية. الفلسفة، بهذا، تعني الانفتاح على الشك، والسير في الطريق اللامتناهي للبحث عن الحكمة، حيث يصبح السؤال نفسه قيمة قائمة بذاتها، لا مجرد وسيلة للوصول إلى جواب.

وقد جاء أسلوب ديورانت في مقدمة تاريخ الفلسفة يعكس هذه الروح الفلسفية: لغة تجمع بين البلاغة والوضوح، بين الشعرية والدقة المنطقية، لترسم صورة للفلسفة لا كمسألة تقنية أو مهنة أكاديمية، بل كحركة حية من الحيرة والدهشة الإنسانية، التي تستدعي تأملات متجددة ومراجعات مستمرة. ومن هنا، تنفتح الفلسفة على كافة آفاق التجربة الإنسانية، من العلم إلى الفن، من الدين إلى السياسة، فهي ليست تخصصًا منعزلًا، بل منظومة كونية تسعى إلى كشف المعنى الشامل للوجود.

بالتالي، فإن مقدمة ديورانت ليست مجرد افتتاحية لتاريخ الأفكار، بل هي تأمل فلسفي جوهري في طبيعة الفلسفة، وظيفتها، وعلاقتها بالإنسان والعالم. وهي دعوة صريحة للقارئ ليشارك في هذا الحوار اللامتناهي، الذي لا يكتفي بعرض الأفكار، بل يستحث على إعادة التفكير النقدي في كل تلك الأفكار، والسعي إلى استنطاقها في سياق جديد يتناسب مع تحديات العصر الحديث.

إنها بمثابة إعلان فلسفي يعيد تعريف الفلسفة كمسعى إنساني سامٍ، حيث يلتقي الفكر بالوجود، ويحتدم الصراع بين العقل والروح، بين التقليد والتجديد، ليفتح آفاقًا جديدة للحكمة التي لا تقتصر على الماضي بل تنبع من حاضرنا وتتطلع إلى مستقبلنا.

الإشكالية :

كيف يعيد ويل ديورانت تأويل تاريخ الفلسفة ليبرهن على أن الفلسفة ليست مجرد تراكم فكري أو سرد تاريخي، بل هي حركة حية ومستدامة تعكس الصراع الوجودي للإنسان بين العقل والروح، وبين الثبات والتغير، وكيف يؤثر هذا الفهم في استمرارية البحث عن الحكمة عبر الزمن؟

الأسئلة الفرعية:

1-الفرق بين الرؤية التاريخية التقليدية للفلسفة والرؤية "الدرامية" أو "الإنسانية" التي يقدمها ديورانت؟

2-كيف تُسهم قراءة ديورانت للفلسفة في تحويلها إلى مشروع إنساني دائم لا ينفصل عن مشكلات الإنسان اليومية؟

3-هل تمثل الفلسفة عند ديورانت نوعًا من "الوعي التاريخي" يتجاوز الفهم العلمي أو التحليل الميتافيزيقي؟

أسباب اختيار هذا الموضوع :

لقد تم اختيار موضوع "تاريخ الفلسفة عند ويل ديورانت" لما لهذا المفكر من مساهمة فريدة في تبسيط وتوثيق تاريخ الفلسفة بأسلوب يجمع بين العمق والبساطة، إذ نقل الفكر الفلسفي من برجِه العاجي إلى عامة القرّاء. كما أن كتابه "قصة الفلسفة" يُعد مرجعًا مهمًّا يلخّص التيارات الفلسفية الكبرى من العصر اليوناني إلى العصر المعاصر بطريقة سردية وتحليلية متميزة.

كما أن هذا العمل يسمح بفهم تطور الفكر الإنساني من خلال حياة الفلاسفة وظروفهم، ما يساعد الطالب على إدراك السياق التاريخي والثقافي لكل فيلسوف.

المنهج المتبع:

اعتمدتُ في هذه الدراسة على المنهج "التحليلي–الوصفي"، من خلال قراءة دقيقة لكتاب ويل ديورانت، وتحليل مضامينه الفلسفية، ومقارنة بعض آرائه مع المراجع الفلسفية الأخرى. كما تم اعتماد التدرج الزمني والتاريخي في عرض الفصول، بهدف إبراز تطور الفكر الفلسفي من العصر اليوناني حتى المعاصر.

الصعوبات التي واجهتني:

1. صعوبة ضبط المصطلحات الفلسفية وترجمتها بدقة.

2. وفرة المادة الفلسفية وتشعّبها، مما تطلب مجهودًا في التركيز على ما ورد تحديدًا عند ديورانت دون التوسع غير الضروري.

3. قلة الدراسات العربية المتخصصة التي تناولت ديورانت كمحور رئيسي.

4. الحاجة إلى التوفيق بين سرد حياة الفلاسفة وتحليل أفكارهم دون الإخلال بالتوازن المنهجي.

خطة العمل:

تم تقسيم المذكرة إلى **ثلاثة فصول رئيسية**، وفق التسلسل التاريخي للفلسفة كما عرضه ويل ديورانت:

الفصل الأول: الفلسفة اليونانية عند ديورانت

المبحث الأول: تاريخ المدارس الفلسفية الكبرى

سقراط: الحوار التوليدي، الأخلاق.

أفلاطون: نظرية المثل، المدينة الفاضلة، نقد الحس.

أرسطو:المنطق، الواقعية، تصنيف العلوم، الأخلاق، السياسة، مفهوم الفضيلة والسعادة.

الفصل الثاني: تاريخ الفلسفة الحديثة

المبحث الأول: تاريخ الانتقال من التقليد إلى التحديث

بيكون: التجريبية.

سبينوزا: العقلانية، المذهب الواحدي.

المبحث الثاني :تاريخ الأنوار ونهاية الحداثة

النقد الديني، الحرية، التسامح.

كانط: نقد العقل، الظاهرة والجوهر.

هيجل: الديالكتيك، العقل المطلق.

شوبنهاور: الإرادة العمياء، التشاؤم.

سبنسر: التفسير التطوري.

نيتشه: إرادة القوة، موت الإله، العدمية.

الفصل الثالث: تاريخ الفلسفة المعاصرة

المبحث الأول: الفلسفة المعاصرة في أوروبا

برغسون: الحدس، الزمن الشعوري.

كروتشي: الفلسفة الجمالية، التاريخ.

راسل: المنطق الرمزي، التحليلية.

المبحث الثاني:الفلسفة المعاصرة في أمريكا

سنتيانا: العقل والدين والعلم.

وليم جيمس: البراغماتية، التجربة الدينية.

جون ديوي: التربية، التجريبية، التقدّم الاجتماعي.

تعريف بديورانت:

ويل ديورانت (Will Durant) هو مفكر ومؤرخ وفيلسوف أمريكي (1885–1981)، اشتهر بقدرته على تبسيط الفكر الفلسفي وتقديمه في صورة حيّة قريبة من هموم الإنسان اليومية. لا يُعد فيلسوفًا أكاديميًا بالمعنى التقليدي، بل كان مُفسّرًا للفلسفة، سعى إلى ربطها بالحياة والتاريخ عبر مؤلفاته، وأبرزها "قصة الفلسفة" و"قصة الحضارة" التي كتبها مع زوجته أريل. وقد كان يرى أن الفلسفة ليست تراكمًا من الأفكار المجردة، بل تجربة إنسانية تعكس صراع العقل والروح، والثبات والتغير، مما يجعلها حركة حية مستمرة تعبّر عن تطور وعي الإنسان عبر العصور.

الفصل الأول

الفلسفة اليونانية عند ديورانت

المبحث الأول : تاريخ المدارس الفلسفية الكبرى

1/ سقراط (socrates 399 ق.م-469 ق.م)

يعتبر ديورانت من بين المفكرين الذين عرضوا التفكير الفلسفي في شكل مبسط وتقديمه في سياق تاريخي مترابط حيث أن ديورانت رسم رسمة فكره في كتابه قصة الفلسفة لعرض تاريخ الفلسفة للفكر اليوناني ومن خلال هذا يعتبر أفلاطون وسقراط من بين الركائز والأعمدة التي استهل بها ديورانت في عرضه لتاريخ الفكر الفلسفي ، حيث شكلت رؤاهما الفلسفية اساساً مهماً لبناء تصوره عن تطور الفلسفة عبر العصور فنجد في كتاب "قصة الفلسفة" إستهل بمحبث أفلاطون وتركيز على موقع اليونان القديمة وأثرها في نشأة الفكر والحضارة ، قام بوصفها على شكل يد تمتد أصابعها الملتوية[1]، كما أنه يشير على أن هذه المنطقة كانت مهداً للحضارة منذ الألاف السنين ، ثم تطرق إلى موقعها الجغرافي بين أسيا وأروبا ، مما جعلها نقطة التقاء الثقافات والتجارة والأفكار من خلال الإختلاط بين مختلف الشعوب والثقافات كما يوضح انها تحتوي على تضاريس صعبة أدى هذا من صعب السيطرة عليها لكن في الوقت نفسه جعلت التواصل بين أجزائها وهذه التضاريس ساهمت في بناء الأنسان اليوناني وتشكيل طبعه ، من حيث التفكير المستقل والنزعة الفردية التي كانت من العوامل في تطور الفكر.

عاش سقراط، الفيلسوف اليوناني الشهير في القرن الرابع قبل الميلاد (399،1470)[2]، كان كل همه طلب العلم والبحث عن المعرفة فكان يجذب الشباب الشغوفين بالمعرفة ، يفتح لهم بابا النقاش ويتناقش معهم بطريقة جدلية بطرح سؤال وجواب ، لا من أجل الجدال عميق بل من اجل تمحيص الأفكار وتحليل المفاهيم وتوليد الأفكار جديدة تفتح أفاق لهم ، فهو لا يمنح أجوبة بإختصار أو بسهولة بل يوقظ في نفس طلابه عطش التساؤل ، لكي نتذوق فلسفة سقراط أكثر لابد من من الرجوع إلى محاورات أفلاطون فمعظمها وصلت عن طريق أفلاطون تلميذه ومادونه عنه فهذه محاورات فكانت تشبه مسرحية أو تمثلية صغيرة حوار بين سقراط

---

[1] ديورانت ويل. قصة الفلسفة. ترجمة فتح الله مشعشع بيروت دار الجيل 2001 ص 5.

[2] إبراهيم يوسف النجار، مدخل إلى الفلسفة، ط2 الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي 2013 ص35.

وشخص مخالف في كلام مثلاً نجد عدة مواضيع قامت عليها محاورات مثل ما لعدالة ، ما الفضيلية ... إلخ . لتوضيح أكثر مثال في محاورة مينون كانت عبارة عن حوار بين مينون وسقراط حول الفضيلة بطرح سؤال هل تعرف حقاً "ماهي الفضيلة " طرحه مينون على سقراط هذه المحاورة التي نقلها أفلاطون عبر شخصية سقراط ، حيث يستعرضان آراء متعددة حول طبيعة الفضيلة وكيفية إكتسابها يطرح التساؤل مينون فأنا لا أعرف فيما يخصني ماهي الفصيلة .... لا يعرفها "[1] ثم يظيف ومع ذلك فأن أرغب في أن أفحص الأمر معك.[2]

أفلاطون بلسان سقراط لا يقدم لنا تعريف جهاز للفصيلة ، مما يعكس الطابع الإستفاهمي والتأملي لفلسفة الستقراطي ، فكان هذا عكس مانجده عند السفسطائيون ، على نحو ماصوره ديورانت أنه يؤمن بتعرفات المطلقة لايؤمن بالنسبية كما دعى إلى الشك في المعتقدات التي يؤمن بها.[3]

فشك بالنسبه له أداة لتعلم ، إذا أردت أن تتعلم فعلاً يجب عليك أن نبد أولاً بالشك فيما تنظمه معرفة مثال " إذا كنت تعتقد أنك تعرف معنى العدالة فلن نبحث فيه اما اذا شككت فسنبدأ في طرح الأسئلة وستصبح أكثر إستعداداً للفهم ، فلاحظ أن الكثير من الناس يظنون أنهم يعرفون مفاهيم مثل العدالة الخير الفضيلة الشجاعة ..... إلخ . لكن عندما تواجهم بأسئلة دقيقة يظهر التناقض في أجوبتهم ، مما يدل على أن ما يعتقدون مجرد آراء أو معتقدات سطحية وليست معرفة يقينية ،كما طرح ديورانت فإنه لا يعلم شيئاً ولكنه يعلم على نفسه ذلك لجهل".

كما أنه يعتبر أن الحكمة لا يمكن توريثيها كسلعة ، وأن المعلم الحقيقي لا يرفض نفسه كمرشد بل يساعد الآخرين لإكتشاف الحقيقة عن طريق التساؤل والبحث فالفلسفة بالنسبة له ليست الهدف منها لكسب الربح بل طريق شق نحو الحقيقة فقد كان هوياً للحكمة[4].

1 أفلاطون، في الفضيلة (محاورة مينون)*، ترجمة: غير مذكورة، القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، 2001، ص 72.

2 المصدر نفسه ،ص103.

3 ويل ديورانت قصة الفلسفة ،ص12.

4 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة مصدر سابق ،ص12.

انطلقت فلسفة سقراط من وعيه العميق بجهله، إذ جعل من "أعلم أنني لا أعرف شيئًا" مبدأً منهجيًا قاد إلى ثورة في التفكير الأخلاقي، فاعتُبر الحكيم الأسمى لأنه أدرك حدود معرفته، وبذلك أسّس منعطفًا في الفلسفة من التأمل الكوني إلى البحث في الفضيلة والسلوك الإنساني.

لقد كان سقراط ناقدا صارمًا لكل يقين زائف، داعيًا إلى الشك كمدخل للمعرفة، وهو الذي رفع شعار: "اعرف نفسك"[1] مؤكدًا أن جوهر الفلسفة لا يكمن في ملاحقة الظواهر الطبيعية، بل في فهم ماهية الإنسان ومصيره.

لقد نظر إلى فلسفة الطبيعيين – من أمثال طاليس، وهيراقليطس، وبارمنيدس، وزينون، وفيثاغورس، وأمباذوقليس – على أنها جهود معتبرة، لكنها غير كافية، إذ قال ساخرا: «هذه فلسفة لا بأس بها، ولكن ثمة فلسفة أجدر بالفلاسفة أن يدرسوها وهي الإنسان ما هو ؟ وما الذي يصير إليه؟» والى أي شيئ سيتحول في المستقبل[2] فبذلك يكون سقراط قد دشن مرحلة جديدة من الفكر الفلسفي، قوامها البحث في النفس والأخلاق بد لاً من الانشغال بالعناصر والنجوم والكواكب التي لا تمس جوهر الإنسان ديورانت، سقراط [3].

إن سقراط لم يقف عند رفض الفلسفة السابقة، بل تجاوزها إلى نقد المعتقدات السائدة والأساطير التي كانت تدعم تعددية الآلهة. وقد أدى هذا التمرد العقلى إلى اتهامه بإفساد عقول الشباب، فكان صدامه مع السلطة الديمقراطية في أثينا أمرًا محتوماً. لم يكن سقراط من أنصار النظام الديمقراطي الأثيني، بل رأه نظاما هشاً، تقوم فيه السلطة على الجهل. فأصدرت المحكمة حكما بإعدامه بتهمة إفساد الشباب وإنكار الآلهة[4].

وبرغم ما عرض عليه من فرص للفرار، أثر سقراط أن يموت واقفا على مبادئه. لقد بلغ السبعين من عمره، وكان يرى أن الموت ليس شراً، بل انتقال إلى حالة أرقى من الوجود، فقال لأصدقائه الحزاني افرحوا، فإنكم لا تدفنون إلا جسدي[5]. بهذا الموقف البطولي، اختتم سقراط

1 المصدر نفسه، ص12.

2 المصدر نفسه، ص10.

3 المصدر نفسه، ص12.

4 المصدر نفسه، ص15

5 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة ،ص15.

حياته، لا كفيلسوف فقط، بل كشاهد حي على أن الفلسفة التزام وجودي حتى الموت ديورانت[1]، لقد مهد استشهاد سقراط الطريق لتلميذه أفلاطون، الذي حمل رسالته، وبنى على أسسها مشروعًا فلسفيًا جديدًا، فكانت نهاية سقراط بداية عصر جديد في الفكر الإنساني، عصر جعل من الفلسفة سؤالاً أبديًا عن الحق والخير والعدالة ..... إلخ. يُعدّ العرض الذي يقدمه ول ديورانت الفلسفة سقراط في الصفحات الممتدة من العاشرة إلى الثامنة عشر من كتابه قصة الفلسفة أقرب إلى سرد تاريخي ذي طابع أدبي، منه إلى تحليل فلسفي محكم. إذ يظهر جليًا أن ديورانت يتعامل مع سقراط بوصفه رمزا أخلاقيًا، أكثر من كونه واضعًا لمنهج فلسفي إشكالي قائم على التفكيك والاستفهام. فرغم إشادته بمكانة سقراط كـ «أب للفلسفة ، إلا أن ديورانت لا يتعمق في الطبيعة الفلسفية الدقيقة لمنهج سقراط الجدلي، ولا في تعقيداته المنهجية المرتبطة بفكرة الجهل المعلن، والتي كانت – paradoxically – وسيلته في الكشف عن حدود المعرفة الإنسانية.

يتجلى في نص ديورانت ميل واضح إلى تصوير سقراط على نحو شبه أسطوري، حيث يركز على طبيعته الشخصية وفضائله الأخلاقية أكثر من تحليله لجدل المفاهيم الذي مارسه في محاوراته الشهيرة. وهذا ما نلحظه حين يختزل مشروع سقراط الفلسفي في العبارة الشهيرة: "اعرف نفسك"، دون أن يسعى إلى تفكيك ما تنطوي عليه هذه العبارة من إمكانات إبيستيمولوجية وأنطولوجية متشابكة فديورانت يتعامل مع هذه الحكمة بوصفها دعوة أخلاقية للتأمل، لا كبنية معرفية تستند إلى موقف فلسفي تجاه حدود العقل والحقيقة ديورانت، علاوة على ذلك، فإن تركيز ديورانت على نقد سقراط للطبيعة والفلك، وانتقاله إلى تأمل الذات البشرية، لا يتجاوز المستوى الوصفي. إذ يُفترض في دراسة فلسفية أن تُبرز التحول الابستيمولوجي العميق الذي أحدثه سقراط في مسار التفكير الإغريقي، من خلال استبدال السؤال عن "مم يتكون العالم؟" بالسؤال عن "كيف ينبغي للإنسان أن يحيا؟". غير أن هذا التحول لا يُعالج عند ديورانت إلا كخطوة أخلاقية – روحية، لا تقطع معرفي (episteme) بالمعنى الذي سيطوره لاحقا أفلاطون

1 المصدر نفسه، ص30.

وأرسطو.

كما أن ديورانت لا يتوقف بما يكفي عند الطابع الجدلي لمواقف سقراط، والذي لا يهدف إلى تقديم أجوبة جاهزة، بل إلى هدم اليقينيات السائدة، وخلق ارتجاجات فكرية تعيد تشكيل الوعي الفردي. بل يُغيّب ديورانت الطابع الإشكالي الذي جعل من سقراط شخصية خلافية داخل المدينة الأثينية، ليس فقط بسبب مواقفه، بل بسبب الأسلوب الحواري ذاته الذي كان يُربك محاوريه، ويُقوّض أسس السلطة المعرفية والاجتماعية القائمة.

مشروعه النقدي. وهو ما يجعل هذا العرض أقرب إلى صورة سردية مثالية، منه إلى تحليل فلسفي ينصف سقراط كصانع للمفاهيم ومزعزع الثوابت الفكر في عصره.

2/ أفلاطون(Plato) (428/427)ق.م – (348/347) ق.م

كما جاء في سردية ديورانت أن لقائه بسقراط نقطة فاصلة في حياته فكان شديد الإعجاب بسقراط وبأسلوبه الجدلي الأستقراطي من هذا أفلاطون دخل عالم الفكر الفلسفي بإشراف أستاذه سقراط فكان يردد "اشكر الله الذي خلقني يونانياً لا بربرياً حراً عبداً رجلاً لا امرأة ولكن فوق الجميع انني ولدت في عصر سقراط ."[1]

فإعدام سقراط أثر عليه خاصه أنه كان في عمره ثمانية وعشرون فقط ،وترك هذا المشهد المحزن الأسى والحزن في قلبه وهنا يتبلور الفكر الأفلاطوني والبحث عن نظام حكم أخر و أن المدينة الفاضلة لاتتحقق إلا بقيادة العقلاء على نحو ماعرضه ديورانت أفلاطون ترك آثينا حتى صار عمره أربعين سنة.عاد من هناك رجل ناضج على مايتضح أن ويل ديورانت يظهر إعجابه بأفلاطون ويتجلى هذا من خلال قوله "لم تلبس الفلسفة على ما نعتقد اطلاقاً مثل هذا الثوب الجميل اللامع الذي بدأ في أسلوب افلاطون قبله او بعده"[2] بمعنى أن أفلاطون أمتاز أسلوبه الشعري ونثري هذا يتضح في كتابته الأصلية ربما من قرأها يتضح له هذا الأسلوب المرموق، كما أنه بجله من خلال المكانة الفريدة التي منحها إياه ضمن تاريخ الفكر الإنساني.

1 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة،مصدر سابق ،ص19.

2 المصدر نفسه، ص20.

وقد تجلى هذا التقدير العميق في عبارته الدالة: "أفلاطون هو الفلسفة، والفلسفة هي أفلاطون"، وهي عبارة تختزل رؤيته لمكانة أفلاطون بوصفه روح الفلسفة الناطقة.

لقد خلف أفلاطون لنا ثمان وعشرين محاورة وصلت إلينا كاملة تقريبًا، إلى جانب بعض الرسائل، عدا تلك النصوص الباطنية التي كانت مخصصة لخواص تلامذته والمريدين المقربين[1]. غير أن من بين تلك المحاورات، تبرز ثماني محاورات بعينها، تعتبر الأساس الذي انطلقت منه أعظم الرؤى الفلسفية في التاريخ.

من بينها نجد كتابه الجمهورية لأفلاطون الذي عرضه ديورانت اهم ماجاء به وأعتبره أنه إحدى العجائب الثمانية، فالبعد الأخلاقي في فكر أفلاطون بوضوح من خلال كتاب "الجمهورية"، إذ يرى ويل ديورانت أن هذا العمل ليس تأملًا سياسيًا فحسب، بل بحثٌ فلسفيٌّ عميق في طبيعة الخير والعدالة والفضيلة والسعادة. وقد أبرز ديورانت أن المشكلة المركزية التي ينطلق منها الحوار هي تساؤل أخلاقي جوهري: هل العدالة خيرٌ في ذاتها، أم لنتائجها فحسب؟ وهل حياة الإنسان العادل أفضل من الظالم، حتى وإن بدا الظلم أكثر نفعًا؟

يرى ديورانت أن الحوار يكشف عن تعدد تعريفات العدالة، التي ما تلبث أن تنهار أمام النقد السقراطي، كتعريف السفسطائي لها بأنها "مصلحة الأقوى"، مدّعيًا أن القوانين تخدم الطبقة الحاكمة بأسم العدالة. وهنا يشبّه ديورانت هذا الطرح بتصوّر نيتشه، الذي سخر من "الضعفاء المتظاهرين بالفضيلة لعجزهم عن امتلاك القوة"، كما أشار إلى ما قاله شتيرنر: «حفنة من القوة خير من كيس من الحق»[2].

ويُفهم من تحليل ديورانت أن أفلاطون بنى فكرته عن الدولة المثالية على أساس أن العدالة لا تتجلى في الفرد وحده، بل في التنظيم العام للدولة. فالصراع بين العدالة كقيمة، والعدالة كأداة بيد الأقوياء، يمثل إحدى أهم الإشكالات الفلسفية. فالعدالة، من هذا المنظور، ليست مصلحة شخصية بل قيمة يمكن تحقيقها بتنظيم اجتماعي منسجم.

---

1 أفلاطون، الجمهورية، ترجمة شوقي داود تمّيز، (بيروت: دار التميز، د.ت)، ص 11.6

2 ويل ديورانت قصة الفلسفة مصدر سابق ،ص31.

أما في البعد النفسي، فيرى ديورانت أن الأزمة السياسية لا تُعزى إلى الأنظمة وحدها، بل إلى طبيعة الإنسان ذاته؛ فالحكم انعكاس لأخلاق المواطنين. ولهذا، يرى أفلاطون أن التغيير السياسي لا يتحقق دون إصلاح النفس، التي تتكون من: الرغبة، العاطفة، والمعرفة. وعليه، فإن المجتمع العادل هو ذاك الذي تُوزّع فيه المهام تبعًا لطبيعة النفس: الفلاسفة يحكمون، الشجعان يدافعون، والمنتجون يعملون.

ويؤكد ديورانت أن الفلسفة الأفلاطونية لا ترسم فقط نظامًا سياسيًا عقلانيًا، بل تقترح مسارًا تربويًا صارمًا لتكوين الطبقة الحاكمة، بدءًا من الطفولة، مرورًا بمراحل من التصفية والاختبارات، وصولًا إلى تمييز العناصر "الذهبية" المؤهلة للحكم، والفضية للمساعدين، والنحاسية أو الحديدية للعمال، وفق ما يُعرف بـ"الأسطورة الملكية" أو "خرافة المعادن"[1].

لكن، لا يكتفي أفلاطون (حسب تحليل ديورانت) بالفكر المجرد، بل يشترط أن يُختبر الفلاسفة في الواقع العملي؛ فيغادرون عالم المثل وينخرطون في الحياة العامة، ويُكلفون بخوض غمار السياسة، والتدبير، وتحمّل المسؤولية. وبعد خمس عشرة سنة من هذه التجربة، وعند بلوغهم سن الخمسين، يكونون قد اجتمع لهم العقل، التواضع، والحكمة، ما يجعلهم مؤهَّلين للحكم. ومع ذلك، لا يُنظر إليهم كأصحاب سلطة بل كـ"خدّام للعدالة" ومحققين للانسجام بين طبقات الدولة الفاضلة[2].

هنا يبرز "الحلّ النفساني" بوصفه ذروة المشروع الأخلاقي والسياسي عند أفلاطون، كما فهمه ديورانت؛ فإصلاح النفس شرط لإصلاح الدولة، والدولة الفاضلة ليست سوى انعكاس مكبّر للنفس المهذّبة. ويجسد هذا التهذيب بشكل رمزي في "أسطورة الكهف"، حيث يُشبَّه الناس بسجناء لا يرون إلا الظلال، وحين يخرج أحدهم إلى عالم الحقيقة يعود ليجد زملاءه يسخرون منه، كما يحدث مع الفلاسفة الذين يعودون إلى مجتمعاتهم محمّلين بالحكمة والمعرفة[3].

في إطار الحلّ السياسي، يرى ديورانت أن أفلاطون رفض الديمقراطية القائمة على المساواة

1 ويل ديورانت قصة الفلسفة،ص232.

2 المصدر نفسه، ص44.

3 ويل ديورانت ، قصة الفلسفة ،ص48.

الشكلية، معتبرًا أن الحكم لا يجب أن يُمنح عشوائيًا، بل يُعهد به إلى من يثبت كفاءته. ولهذا قال: «إن الديمقراطية آلياً ... تعني مساواة تامة في الفرص خصوصاً في التعليم... ولكن أولئك الذين أثبتوا أفضليتهم.... يحق لهم أن يحكموا البلاد»[1]. كما يشترط أفلاطون أن يعيش الحكام بلا ممتلكات ولا عائلة، وأن تُتاح الفرص المتساوية للنساء والرجال على حد سواء، شرط أن يثبتوا جدارتهم. ويرى ديورانت أن هذا التصور يعكس مدينة فاضلة تحكمها نخبة فلسفية، وتُوزّع فيها الأدوار بحسب الفطرة والكفاءة، في ظل اقتصاد مراقب يحد من التفاوت الطبقي.

في ختام الجمهورية، وبعد طرح الحلّ النفساني والتربوي والسياسي، يجيب أفلاطون عن ماهية العدالة، معتبرًا أنها ليست قانونًا أو سلطة، بل حالة من الانسجام الداخلي للفرد والمجتمع، وهي شرط بقاء الإنسان، تمامًا كما تُعدّ الصحة شرطًا لبقاء الجسد[2].

ويتساءل ديورانت في ختام تحليله: هل تحققت دولة أفلاطون المثالية في الواقع؟ ويجيب بأن ملامحها ظهرت في أوروبا خلال العصور الوسطى، حيث ساد نظام ثلاثي الطبقات: العمال، الجنود، ورجال الدين، الذين حكموا بالمعرفة والزهد، خارج دائرة العائلة والمُلكية، مثلما اقترح أفلاطون. حتى أن الكنيسة الكاثوليكية تأثرت بـ"الكذبة النبيلة"، واستخدمت الميتافيزيقا ونظرية المثل لتبرير رؤيتها الأخلاقية[3].

كما يرى ديورانت أن صدى هذه الأفكار امتد إلى تجربة اليسوعيين في باراغواي، وإلى نموذج الحزب الشيوعي في روسيا بعد ثورة 1917، حيث حكمت أقلية مؤمنة بعقيدة شاملة. وهكذا لم يكن أفلاطون فيلسوفًا مثاليًا منعزلًا، بل عبّر عن رؤى أثّرت فعليًا في التاريخ.

مع ذلك، يُقِرّ ديورانت – مستندًا إلى نقد أرسطو – بأن المدينة الفاضلة تبقى مثالية صعبة التحقيق، لأنها تفترض مستوى أخلاقيًا عاليًا لا يقدر عليه معظم البشر، وقد تُضعف الدوافع الفردية والمسؤولية، وتتناقض مع واقع النفس الإنسانية. لكن ديورانت يدافع عن أفلاطون،

1 المصدر نفسه، ص53.

2 المصدر نفسه، ص48.

3 المصدر نفسه، ص56.

مؤكدًا أنه لم يقترح الشيوعية لكل المجتمع، بل كتنظيم خاص للحكام والحراس. فهو، رغم مثاليته، رسم نموذجًا أخلاقيًا–سياسيًا أقرب إلى الحلم، لكنّه بقي مصدر إلهام ونقد في آنٍ واحد، منذ أرسطو حتى العصر الحديث.

ويختم ديورانت تحليله بالإشارة إلى أن السنوات الأخيرة من حياة أفلاطون كانت سنوات سعادة، اختُتمت برضا داخلي، وكأن الفيلسوف قد بلغ في شيخوخته ما بشّر به في شبابه[1].

3/ أرسطو (Aristotle) (384 – 322) ق.م

يعرض ديورانت علاقة أرسطو بأستاذه أفلاطون الذي قضى حوالي عشرين سنة إلا أن فكره كان مختلف تماماً فأفلاطون مثالي وأرسطو واقعي فكان كل منهم عباقرة ،لكن تفاهم بينهم أمر صعب فشبهم كتفاهم النار والديناميت[2].

حيث يصعب التوافق بين العقول العظيمة رغم الإحترام المتبادل بينهم ،حيث قول أفلاطون على أرسطو حسب ماورد بالسان ديورانت "الذكاء المجسم في الأكاديمية"، و"بيت أرسطو هو بيت القارئ."[3]

اعتراف أفلاطون بعظمة أرسطو، لكنه في نهاية المطاف شبهه بـ مهر يرفس أمه هذا إشارة على تمرده الفلسفي عليه فديورانت يعرض لنا ارسطو الذي شكل نقطة التحول في تاريخ الفلسفة والفكر اليوناني عاماتاً،إذ أنزل الفلسفة من السماء إلى أرض بعمنى من الخوض في مسائل ميتافيزيقية غيبية إلى مسائل فيزيقية.

ديورانت يشير إلى أعمال أرسطو ويرى أنه أثينا رغم كونها معادية له سياسياً إلا أنه فكره ومكانته العلمية جعلت منه جذاباً في التعليم حتى في بيئة خصبة بالعداء ،يتضح في قوله "لم يكن عسيراً على معلم ملك الملوك العثور على تلاميذ له حتى في مدينة معادية كأثينا[4]."

حينما بلغ من عمره الثالثة والخمسين أسس مدرسته الشهيرة "اللوقيون" كما يشير ديورانت

1 ويل ديورانت قصة الفلسفة ،ص65.

2 المصدر نفسه، ص68.

3 المصدر نفسه، ص68.

4 ويل ديورانت قصة الفلسفة ،ص73.

لم تكن تعتمد على نظام صارم بل كانت تعتمد على أسلوب تقليدي فقارن في كتابه قصة الفلسفة بينها وبين أكاديمية أفلاطون التي تميل إلى الفلسفة التأملية والرياضيات المجردة بينما أرسطو مال إلى تدريس علم الأحياء والعلوم الطبيعية[1].

فحسب رأيه يرى أنه يرجع له الفضل في تأسيس المنهج العلمي في صورته الأولية رغم ضعف أدواته فلايزال تأثيره قائم إلى اليوم.

ومن أبرز مؤلفاته حسب ماذكرها ديورانت وتقسم هذه المؤلفات إلى أربعة محاور رئيسية

1.الأعمال المنطقية ، مثل: المقولات التحليلات الدحض السفسطائي.

2.الأعمال العلمية، مثل: الطبيعيات.

في السماء، أجزاء الحيوان.

3.الأعمال البلاغية مثل: البلاغة علم العروض.

4.الأعمال الفلسفية مثل: الميتافيزيقا الأخلاق السياسة.

يشير ديورانت أن كثرة الزاد المعرفي لا يعني انها تخلو من العيوب يتضحى في قوله «لا غرابة أن نجد أخطاء وسخفاً في أرسطو أكثر من أي فيلسوف »[2] بمعنى أن هذا لأنه أقل شأناً، بل لأنه حاول أن يغطي مجالات واسعة جداً من المعرفة، لم يجرؤ أحد قبله على استيعابها كلها دفعة هذا المنهج التركبي بمعنى جمع المعرفه كلها في نسق فكري شامل،يقارنه بمحاولة سبنسر في القرن التاسع عشر.

يعتبر المنطق من أبرز إنتاجاته أنه وضح أسس علم جديد هو المنطق،الذي كان نقطة تحول في طريقة التفكير على مسار العلمي والفلسفي كما رأى ديورانت في حالة من الفوضى وعدم النطام[3] حتى قام أرسطو وضع له منهجاً في فحص وتصحيح الفكر.

فقد شبه المنطق بالفن يساعد على تصحيح أفكارنا وضبطها[4] مشيراً أنه "علم" من حيث

1 المصدر نفسه، ص73.

2 المصدر نفسه، ص76.

3 ويل ديورانت قصة الفلسفة ،ص78.

4 المصدر نفسه، ص79.

صياغته في قواعد قابلة للتدريس، وفن لأنه يقدم دقة لاشعورية تشبه إنسجام عازف البيانو مع آلته.

فظهر إشارة على المنطق في محاورة سقراط،الذي كان يصر على تعاريف لدقيقة للمفاهيم في هذا سياق ديورانت يوظف فولتير وقوله "إذا كنت ترغب في التحدث معي فعزف ماتقول وحدد قولك ".[1]

يشير ديورانت أن أرسطو طور هذا الأتجاه حينما وضع تعرفياً مركباً يقوم على عنصرين إدراج الشيء ضمن جنسه، تم تمييزه بخاصية نوعية، كما في قوله إن "الإنسان حيوان عاقل"، حيث يتم إغراق المفهوم في طبقته (الحيوان)، ثم انتشاله بعلامة تميزه (العقل).

من الإظافات الحاسمة أيضًا مذهب القياس المنطقي ، وهو تركيب مؤلف من مقدمة كبرى وصغرى ونتيجة كقولنا: "الإنسان حيوان عاقل، وسقراط إنسان، إذا سقراط حيوان عاقل"، مما يشبه البرهان الرياضي القائم على حذف الحد المشترك. ومع أن القياس يأخذ أحيانًا ما يجب إثباته كمسلمة، إلا أن أرسطو يرى أن اشتراك الفرد في صفات نوعه يقتضي اشتراكه في صفاته العقلية أيضًا، مما يجعل القياس أداة لتوضيح الأفكار لا مجرد آلة لكشف الحقائق.

يرى ديورانت أن ارسطو ورث إرث علمي وذلك من خلال سابيقه طاليس وانكسمندرس وغيره وذلك انهم سعوا لتفسير الكون تفسير طبيعي غير ديني كل منهم فسره بطريقته وحسب فكره فأرسطو أراد أن يجمع هذا الأرث من التفكير اليوناني المتمثل في مجالات مختلفة، العلمي الأخلاقي،الفلسفي ،الفيزيائي جمعهم في بنية علمية محكمة فكن بحق المؤسس للعلم المنظم كما الفلسفة المنهجية.

في هذا سياق يقول رينان "وكما قال رينان: "إن سقراط أعطى العالم الفلسفة، وأرسطو أعطاه العلم"، حيث تحولت مع أرسطو من مجرد تأملات إلى منظومات معرفية تقوم على الملاحظة التعليل التنصيف.

بذلك فتح أفاق نحو الفكر الأنساني نحو النضج والإتساق يعد فكر أرسطو موسوعة جمعت

1 المصدر نفسه، ص79.

بين التحليل الأخلاقي والسياسي والعلمي غاية لأخلاق هي تحقيق السعادة ،بالنسبة لأرسطو وأن هذه سعادة تكتسب عن العمل الفاضل يؤكد أن الفضيلة ليست فطرية بل تتكتسب بالممارسة والتربية بحيث يقول أرسطو في سياق ماجاء به ديورانت "هذه الفضائل تتشكل في الأنسان بعمله "هذا هو مختصر مفهوم الأخلاق وطريق إلى السعادة ،أم بالنسبة للسياسة فأرسطو لم يكن شيوعياً ،كما كان أفلاطون بحيث يقول"هذه الأشياء الجديدة لو كانت صالحة لما بقيت مجهولة من الناس في الأعوام الطويلة الماضية"[1] هذه الأشياء كما يفسره ديورانت يقصد بها جمهورية أفلاطون الشيوعية ،بحيث ينقد أرسطو هذه الفكرة معتبراً أيها غريبة على طبيعية البشرية والتجربة الواقعية أي أنها غير قابلة لتنفيذ في أرض الواقع

فيري أرسطو حسب ماصغه ديورانت أن لو كانت هذه الأفكار صالحة فعلاً، لكانت ظهرت في التاريخ أو اعتمدتها الشعوب منذ القدم. هذا نوع من الحجة التاريخية أو التقليدية ما لم يُجرّب أو يُقبل عبر التاريخ الطويل، فهو مشكوك في صلاحيته.

أي مالام يطبق فهو غير صالحة هذه الفكرة التي يرغب في التعبير عنها فيرجع إلى أرسطو المجد في أنه قد صنع السياسة...[2] بحيث كما يفهم من تحليل ديورانت لم يكن شيوعياً كما كان أفلاطون ، بلا رأى أرسطو عكس مارأه أفلاطون بحيث أن الإشتراك في النساء والأموال يفسد الألفة ،بمعنى أنها تنزع المسؤلية بينهم وتضعف علاقتهم بين بعضهم البعض ،بحيث كان مؤمن ب الملكية الخاصة يضمنها القانون وتدعمها التربية ،بمعنى الوسطية معتدلة أي لاغناء مفرط ولافقر.

فالنسبة له المرأة أقل شأناً من الرجل بطبيعتها ويتضح هذا من خلال قوله:

"ان المرأة من الرجل كالعبيد من السيد"[3] بمعنى أن المرأة خلعت كتابع للرجل مقامها مقام العبيد ويرى أن المرأة ناقصة في التكوين العقلي والإرادي ،ويرى بإن الزواج لابد أن ينظم عقلانياً

1 ويل ديورانت قصة الفلسفة ،ص93.

2 أرسطو، السياسة، ترجمة أحمد لطفي السيد، عن الترجمة الفرنسية لبارتلمي سانتهيلير، ط 1، القاهرة: مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، 2011، ص32.

3 ويل ديورانت قصة الفلسفة ،ص97.

للمحاظة على النسل.

يرى أرسطو أن على الدولة أن تنظم الحياة الزوجية والإنجابية كما تنظم السياسة كما أن الاخلاق تبدأ من الأسرة والتعليم هو السبيل لتكوين المواطن ، وذلك لضمان التوازن الديمغرافي والاجتماعي كما يرى أن الثورة خطر على إستقرار السياسة.

كما يرفض الديمقراطية رفضاً تاماً ولم يفضلها بل إنتقدها حيت تصبح حكم الغوغاء وفضل الإرستقراطية، التي يحكم فيها الأفضلون ويتجلى هذا في قوله " لذلك فان افضل نظام عملي للحكومة هو الارستقراطية وهي حكم القلة من المثقفين واصحاب المؤلهلات المقدرة"[1] شرط أن تكون ممزوج بعناصر ديمقراطية تحقق التوازن.

أم من ناحية العلمية نجد أن أرسطو حسب ماصوره ديورانت برع في تنظيم الفكر اليوناني وصياغة المنهج ،بحيث الفلسفة حوله من تأملات في الميتافيزيقيا إلى تحليل منطقي والتصنيف العلمي مبتكرًا منطق القياس نفسه، في ميتافيزيقاه، سعى إلى تحديد "الجوهر الأول"، وقال بوجود علة أولى محركة لا تتحرك، هي الله، عقل يتأمل ذاته وفي علم النفس، قسم النفس إلى نباتية وحيوانية وعاقلة، معتبرًا أن"الوظيفة العليا للإنسان هي استخدام العقل" أما الفن، فقد رآه " تطهيرا للانفعالات، ومحاكاةً لما يمكن أن يكون لا لما هو كائن"، فهو مرأة الطبيعية[2] مؤكدًا أن التراجيديا تهذب النفس عبر التماهي والشفقة.

ديورانت بعد عرضه لفلسفة أرسطو يقدم تحليل نقدي لبعض أفكاره وذلك أن فلسفته لاتثير الحماس كما هو الحال عند أفلاطون هذا يتضح جلياً في قول ديورانت من صعب أن يأخذك الحماس في فلسفة أرسطو لأنه هو بنفسه لم يكن متحمساً[3].

فهو فيلسوف هادئ يميل إلى الإعتدال والتأمل أكثر من الإصلاح والإنفعال ، فديورانت يرى برغم أن أسلوبه يفتقر الطابع الشاعري أو الخيال الذي ميز أستاذه أفلاطون،إلا أنه فكره المنظم ظل أحد أعظم المنجزات في العقل البشري.

---

1 المصدر نفسه، ص102.

2 المصدر نفسه، ص117.

3 ويل ديورانت قصة الفلسفة ،ص119.

وأيضاً تطرق ديورانت لنقد المنطق عند أرسطو في فكرة أنه من المقدمات ثم ينتهي إلى نتائج بينما في الواقع يبدأ بالنتائج الأفتراضية والبحث في مقدماتنا المبررة[1] أي أن الفكر يسير عكس إستناد للتجربة والملاحظة برغم هذا ديورانت يثني على فلسفة أرسطو ،وأن فلاسفة كبار مثل أوكام وبيكون وميل لم يجدوا فيه إلا بقعاً صغيراً من شمس أرسطو[2] أي رغم مرور القرون وظهور مفكرين كبار، لا يزال بناء أرسطو الفلسفي قويًا ومؤثرًا، ولم يستطع أحد تجاوزه إلا جزئيًا، مما يدل على عظمة فكره ومكانته الخالدة .

ديورانت حسب مايفهم من سرديته في نقده لأرسطو أنه نقصه في منهج التجربي وإفتقاره للملاحظة العلمية الدقيقة جعل علمه كما وصفه البعض ككتلة من الملاحظات الفجة عسيرة الهظم[3].

و أعتبر كتابه في الأخلاق هادئ بطريقة عقلانية أخلاقه تشبه للمنطق حتى وصفت بأنها فرع من فروع المنطق خالية من عواطف والحماس برغم من نقد الذي وجه إليه إلا أنه ساهمت أفكاره في تشكيل العقلي للطبقة الحاكمة من خلال تدريسها في الجامعات في بريطانيا وأيضاً يشير أن لم يكن يحمل الروح الأثنية المتحركة.

فبرغم الأنتقادة في فلسفته التي كانت عبارة عن ثغرات إلا أن ديورانت يثني على فلسفته أبدع النظم الفكرية وأكثرها تأثيراً[4] فكان له تأثير بالغ لتشكيل الفكر الأنساني ويتضح هذا من خلال ماعرضه ديورانت.

استمدت منه ثقافة الإسكندرية والفكر المسيحي الوسيط، والفلسفة المدرسية وقد اعتبرت نصوصه "الإنجيل" بالنسبة للفكر الأوروبي، وكانت تُدرّس في كل مدرسة مسيحية وفرضت الكنيسة عقوبة الضلال على من ينحرف عنها. ويصف دانتي في "الكوميديا الإلهية" مكانته قائلاً: "رأيت أرسطو هناك وسط الأسرة الفلسفية، وسط إكبار الجميع وتقديرهم وهناك رأيت

1 المصدر نفسه، ص119.

2 المصدر نفسه، ص120.

3 المصدر نفسه، ص120.

4 المصدر نفسه، ص123.

أفلاطون وسقراط يجلسان بجانبه."

وقد ترجمت أعماله إلى السريانية والعربية ثم إلى اللاتينية، وبقيت محور الفلسفة الأوروبية قرابة ألف عام ويختم بقول "لم يتحكم عقل آخر في عقول البشر هذه المدة الطويلة مثل ارسطو بمعنى كان له تأثير غير مسبوق وطويل الأمد على الفكر البشري."

هاهو في الأخير يعرض ديورانت كيف كانت نهاية أرسطو المعلم الأول بحيث أنه نهايتها لم تكن سعيدة مثل مارسمها لنا في أفلاطون أستاذه لأن أرسطو حسب ماورد في سردية ديورانت تعقدت الحياة أمامه بدأ بينه بين الأسكندر.

فديورانت ينعته بالمحارب الذي يواصل أعماله وسط أعداء يحطون به من كل جانب[1] ومات الإسكندر وأنقلبت الموازين وأتهموا ارسطو بإنه بعدم فائدة الصلاة والقرابين وعندما وجد أرسطو أنه ينتهي به المطاف محاكمته في وسط جماهير أشد أعداء من تلك التي قتلك سقراط يتحرع السم وينتحر وهكذا ينهي ديورانت سرديته عن أرسطو بنبرة حزينة.

فقدت اثينا حاكمها الأعظم وخطيها الأعظم وفيلسوفها الأعظم ، وذوى مجد اليونان ببزوغ فجر الرومان . ولكن عظمة روما قامت على عظمة القوة لا على ضوء الفكر واندثرت عظمة روما بعد ذلك وساد اوروبا ظلام طويل استمر الف سنة ، انتظر العالم فيها بعث الفلسفة من جديد.

1 ويل ديورانت قصة الفلسفة ،ص124.

الفصل الثاني

تاريخ الفلسفة الحديثة

المبحث الأول: تاريخ الانتقال من التقليد إلى التحديث

ينقلنا ويل ديورانت في قصة الفلسفة من مجد الفلسفة اليونانية إلى انحطاط العصور الوسطى، حيث خفت بريق العقل بعد أرسطو، وسيطر الرومان بقوة السلاح دون أن يخلّفوا إنتاجًا فلسفيًا يُذكر، باستثناء الفكر الرواقي الذي رآه ديورانت فكرًا استسلاميًا[1]. ومع صعود المسيحية، خضعت الفلسفة لهيمنة الكنيسة، التي سخّرت منطق أرسطو في خدمة اللاهوت، حتى غدا نقده محرّمًا وكأنه جزء من العقيدة. وهكذا دخلت أوروبا في عصور الظلام، حين غُيّب العقل وحُوصر الفكر في قوالب لاهوتية جامدة.

1/ فرانسس بيكون 1561–1626 (Franciscus Baconus)

لكن مع بداية العصر الحديث، يُبرز ديورانت شخصية فرانسيس بيكون بوصفه علامة فارقة في مسار الفكر الأوروبي، إذ أعلن بداية عصر جديد[2]، وسعى إلى تحويل الفلسفة من تأمل معزول إلى فكر فعّال يخدم الإنسان. فقد تساءل بيكون منذ بداياته ما الذي ينفع الناس؟ وما المهام التي أُعِدّ لها؟ ليجد في التربية والسياسة مجالًا واقعيًا للتأثير[3]، جامعًا بين الفكر والعمل، حتى رآه ديورانت تجسيدًا لحلم أفلاطون في "الملك الفيلسوف"[4].

رأى بيكون أن المعرفة، ما لم تقترن بالفعل، تظل مجرد "غرور علمي شاحب"[5]، ورفض الانفصال بين الفكر والواقع. دعا إلى الانخراط في الطبيعة لاستخلاص قوانينها من خلال التجربة لا التأمل، مفضلًا التفاعل مع الواقع على الحبس في أبراج النظر، قائلاً: "في الكتب نتحدث مع الحكماء، وفي الأعمال نتحدث مع الأغبياء"[6].

---

[1] ويل ديورانت ، قصة الفلسفة،مصدر سابق،ص 135.

[2] المصدر نفسه، صفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص137.

[4] المصدر نفسه، ص139.

[5] المصدر نفسه، ص142.

[6] المصدر نفسه، ص144.

وقد انتقد نظام التعليم التقليدي الذي، بحسب ديورانت، لا يُنتج إلا أساتذة، دون أن يُسهم في نهضة علمية أو صناعية[1]. ومن هنا، سعى بيكون إلى تجديد الفلسفة لتكون أداة فاعلة للتغيير.

ومن أعمق إسهاماته دعوته إلى تطهير العقل من الأوهام التي تشوش المعرفة. وقد صنّفها إلى أربعة: وهم القبيلة، وهو تحيّز العقل البشري بطبيعته للميول والأساطير، فالعقل أشبه بمرآة مشوّهة تعكس العالم بحسب نزواتها[2]؛ وهم الكهف، وهو نتاج التجربة الفردية والبيئة؛ وهم السوق، وهو ناتج عن فساد المعاني في اللغة اليومية؛ وأخيرًا وهم المسرح، وهو التسليم بالفلسفات القديمة وكأنها مطلقات، بينما هي لا تعدو أن تكون مسرحيات فكرية تحتاج إلى نقد لا تبجيل[3].

لم يُقصِ بيكون العقل من مشروعه، بل جعله منطلقًا للمعرفة، شريطة إخضاعه للاختبار التجريبي المنظم. فالمعرفة تبدأ بإشعال "شمعة الحقيقة"[4]، وتُبنى على استقراء منهجي لا على ملاحظة عشوائية، بل على تحليل الظواهر بطريقة دقيقة، كما يتجلى في "مائدة الأكثر والأقل"[5]. وقد استخدم مثال الحرارة لتوضيح هذا المنهج، معتبرًا إياها شكلًا من أشكال الحركة.

ومع ذلك، يشير ديورانت إلى أن الاستقراء لم يكن ابتكارًا بيكونيًا خالصًا، بل سبق إليه سقراط وأرسطو وروجر بيكون، بل حتى الإنسان العادي يمارسه عندما يربط بين الطعام والمرض مثلًا[6]. لكن ما فعله بيكون هو تقنين هذا الأسلوب وصياغته بمنهجية واضحة. ورغم أن منهجه لم يصبح المعتمد في العلم الحديث، الذي فضّل المنهج الفرضي (فرضية، استنتاج، تجربة)[7] إلا أن أثره الجوهري تمثّل في تأسيس عقلانية علمية جديدة وإلهام الأجيال اللاحقة.

---

[1] ويل ديورانت ،قصة الفلسفة ،مصدر سابق ،ص 153.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ،الصفحة نفسها.

[4] المصدر نفسه، ص 155.

[5] المصدر نفسه، ص157.

[6] المصدر نفسه، ص168.

[7] ويل ديورانت ،قصة الفلسفة ،مصدر سابق،ص170.

لقد مثّل بيكون، في نظر ديورانت، نقطة تحوّل حاسمة، إذ ساعد الفكر الفلسفي على التحرر من قيود اللاهوت، والعبور نحو حداثة عقلانية تقوم على التجربة والمنهج. ورغم أنه لم يكن عالمًا تجريبيًا كبيرًا، فإن فلسفته أرست أسس نهضة فكرية وعلمية، ومهّدت الطريق لفلاسفة وعلماء سيواصلون بناء المشروع الحديث برؤية جديدة ونَفَس مختلف.

2/ باروخ سبينوزا (Baruch Spinoza / Benedictus de Spinoza)

1632–1677

ينقل ديورانت تطوّر فكر باروخ سبينوزا إلى حادثة انتحار رجل دين هاجم فيها الاعتقاد بالآخرة عندما كان سبينوزا في الثامنة من عمره، فشكل ذلك مفتاحًا أساسيًا لتساؤلاته العميقة حول الدين والوجود والمعنى[1]، ثم رأى فيه عقلًا نافعاً في الأوساط اليهودية قبل أن تنفتح أفكاره على هرطقات معلّمه التي قادت إلى تمايزه عن النسق الديني التقليدي ،وقد استقى سبينوزا بعض تصوّراته الميتافيزيقية من ديكارت، لكنه تخطى ثنائية الأخير بأن أسس رؤية وحدة الوجود التي ترى أن الجوهر واحد لا يتجزّأ، فاتقنت فلسفته الاتساق العقلي الصارم الذي جعله يتجاوز الازدواجية الذهنية لمعلّمه[2]، فتعارضت آراؤه مع المؤسسة الدينية اليهودية فاعتُبر مهرطقًا يوم رفض إعلان الولاء، فأصدرت ضده قرار الحرمان والنبذ مع حظر قراءة مؤلّفاته أو نطق اسمه[3].

ورغم هذه القطيعة، وجد سبينوزا محررًا في عمله بصقل العدسات البلورية[4]، وعاش في كنف عائلة مسيحية متسامحة رغم ضغوط شقيقته لحرمانه من الإرث. ويلاحظ ديورانت أن حادثة الطرد كانت قبل شرح منظومته الفلسفية؛ ربما لتسليط الضوء على مأساوية المصير الإنساني للفيلسوف بوصفه كائنًا حيًّا ليس مجرد عقلٍ معزول.

---

1 المصدر نفسه، ص 189.

2 موقع إلكتروني رينيه ديكارت أبو الفلسفة الحديثة ورائد الميتافيزيقا مقال الموسوعة aljazeera.net تم الإطلاع عنه في 24أفريل على سا عة 12:00ليلاً.

3 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة،مصدر سابق ص 192.

4 المصدر نفسه، ص 296.

ثم يبرز ديورانت تأليف سبينوزا لـ الأخلاق الذي أمضى فيه خمسة وعشرين عامًا ولم ينشره خوفًا من الاضطهاد، وصاغه بأسلوب هندسي عقلي صارم يعتمد البديهيات والمصادرات والبراهين كما يفعل الرياضيون، فكان أكثر اتساقًا في هذا المنهج مقارنة بمن سبقوه من فلاسفة مثل فرفريوس وابن ميمون وبرونو وغيرهم[1]. يسمح هذا الأسلوب الكشف عن انتقال الفكر الحديث من التجريبية عند بيكون إلى العقلانية الميتافيزيقية عند سبينوزا، الذي رأى أن الأخلاق قائمة على قوانين ثابتة يمكن إثباتها بأسلوب رياضي[2] وأن الكون بأكمله معادلة عقلية قابلة للفهم.

أما في رسالة في الدين والدولة فقد تناول لغة التوراة مُبيّنًا أن ما طغى عليها من رموز واستعارات يهدف إلى تحريك الخيال الشعبي لا إقناع العقل، فالمعجزات في نظره أوهام تنشأ من جهل بالقوانين الطبيعية[3]. ويؤكّد في تحسين العقل أن كل الانشغالات الدنيوية عبث وباطل، وأن السعادة الحقيقية تنبثق من المعرفة وفهم قوانين الطبيعة، حيث ينطلق الإنسان للتحرر بالابتعاد عن الجهل والانفعالات والانقياد لوهم الحرية المطلقة[4].

ويقسّم المعرفة إلى أربعة مراتب: عبر الأخبار والإشاعات، ثم عبر التجربة الصدفية الغامضة، ثم عبر الاستدلال العقلي، وصولًا إلى الإدراك المباشر السريع، مصوّرًا تطوّر العقل الإنساني نحو إدراك النظام الأبدي الثابت الذي يقف خلف النظام الزائل المتقلب.

وفي هذا الإطار تبرز رؤيته للإله بوصفه الجوهر الواحد الذي هو الطبيعة نفسها، وليس مخلّصًا خارجيًا يتحكم في الكون، فالحرية لدى سبينوزا ليست انفلاتًا عن الضرورة، بل "معرفة الضرورة" والوعي بها، ومن ثَمّ العيش وفق القوانين الطبيعية والعقلانية[5].

---

1 باروخ سبينوزة علم الأخلاق ترجمة جلال الدين سعيد ط1 : بيروت تشرين الأول (أكتوبر) 2009،ص 12

2 مقال من الأنترنات استخدم سبينوزا المنهج الهندسي في كتابيه : " مبادئ الفلسفة الديكارتية " و " علم الأخلاق ..... إطلاع عنه في 24 في ساعة 12:00ليلاً

3 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة ،مصدر سابق ،ص203.

4 المصدر نفسه، ص208.

5 رواية عن تاريخ الفلسفة عالم صوفيا ترجمة أحمد لطفي نشر والتوزيع سوريا ط1 دمشق 2997 ،ص334.

المبحث الثاني : تاريخ الأنوار ونهاية الحداثة

1/فولتير (Voltaire / François-Marie Arouet) 1694-1778

ينقل ديورانتُ في قصة الفلسفة صورة فولتير بوصفه صاحب دعوة عقلية تحررية في القرن الثامن عشر، حيث دافع عن العقل وانتقد التعصّب وطالب بالحرية الفكرية.

فقد حقّق فولتير أوّل نجاح أدبي بمأساة أوديب التي عُرضت خمسًا وأربعين ليلة متتالية في باريس (1718)، مما أتاح له رفاهية مادية للتفرّغ للكتابة والتأثير[1]. ثم قاده نفيه إلى إنجلترا لاكتشاف نظام سياسي يتسم بحرية الفكر والتسامح الديني، فعجب لعظمة إصلاحاته هناك، فكتب: "هذا شعب يتمتع بآرائه الخاصة والمستقلة"[2] ، وألّف رسائل فلسفية وضع فيها نقدًا غير مباشرٍ لسلطة الكنيسة وماهيّأ العقل الفرنسي للثورة المقبلة[3].

وفي رواية "كنديد" التي يصحبنا فيها البطل من البلاط النبيل إلى مصائب زلزال لشبونة والتجنيد القسري والجلد وافتراق المحبوبة، نقدٌ ساخر للتفاؤل الفلسفي حين يقول بانغلوس: "ثمّة ترابط عجيب بين أحداث هذا العالم..."[4]، قبل أن يرد كنديد: "كل ذلك جميل، غير أن الأهم أن نلتفت الآن إلى زراعة حديقتنا"[5] بعد أن ربّاه بانغلوس على مبدأ الأسباب الأولى[6] وفي خضمّ حوارات الإنارة الفرنسية، لعب فولتير دورًا بارزًا في "الموسوعة" و"القاموس الفلسفي"، فجادل ضد الميتافيزيقا مشككًا في اليقين، حتى اعترف في القاموس: "أنا لا أعرف شيئًا إطلاقًا طيلة خمس وعشرين سنة"[7] في ظل تيارات مادية وإلحادية بلغت ذروتها حين أعلن لا متر: "الإنسان مجرد آلة، والنفس مادة"[8].

---

1 ويل ديورانت، قصة الفلسفة مصدر سابق ص254.

2 المصدر نفسه، ص258.

3 المصدر نفسه، ص259.

4 فولتير، كانديد أو التفاؤل، ترجمة آنا ماريا شقير، مراجعة وتقديم: د. بسام بركة، بيروت: دار ومكتبةالهلال، 2005، ص 16.

5 المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

6 ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مصدر سابق ، ص 248.

7 المصدر نفسه، ص 288.

8 المصدر نفسه، ص 292.

وما إن تعمّقت معارضته رجالات الدين حتى شهد تولوز حادثة رجّحت موازين مواقفه؛ فقد منع الكاثوليكُ رجلاً بروتستانتيًا (68 عامًا) من أي مهنة فانتحر ابنه بسبب الفقر، ثم جرى الاب مُعاقبًا بعد موته، فكتب فولتير مقالة في التسامح وانتقل من الهزل إلى الجد[1] قائلاً: "كل ابتسامة أفلتت مني رغم إرادتي في ذلك الوقت كانت تثير في نفسي التبكيت، وكأنها جريمة ارتكبتها"[2].

وفي أواخر حياته، بعد عودته إلى باريس، أوصى حفيد مفكر سياسي أمريكي بأن "يكرّس حياته لله والحرية"[3]، ونطق قبل وفاته: "أموت على عبادة الله، ومحبة أصدقائي، وكراهية أعدائي، ومقتي للخرافات والأساطير الدخيلة على الدين"[4]. وختم ديورانت تحليله قائلاً إن فولتير قد "أعطى العقل قوة دافعة عظيمة، وأعدّنا وهيأنا للحرية" بعد قرونٍ من هضم السلطان الديني للعقل[5].

2/إيمانويل كانط1724–1804 (Immanuel Kant)

يشكّل كانط نقطةً محوريةً في الفلسفة الغربية الحديثة، إذ أحدث بكتاب نقد العقل الخالص ثورةً فكرية أيقظت العالم من "نومه العقائدي" بعد ستين عامًا من الركود الألماني ، فما إن نُشر هذا العمل حتى اعتبره شوبنهاور أعظم الكتب الألمانية رغم مخاوفه من "الجنون" عند قراءته كاملةً ، ورآه نيتشه مجموعةَ مسلّمات لا تقبل الجدل[6].

ولتفهّم عمق هذا التحوّل لا بدّ من العودة إلى السياق التنويري الذي مهّد لكانط عن طريق انهيار الإيمان التقليدي بفضل يعرّه العقل والعلم من كل قيد[7]، ثم توجّه الفكر عبر لوك نحو

1 فولتير، في التسامح، ترجمة هنري عبودي، (سوريا دمشق ،دار بيترا للنشر والتوزيع)، ص 9.

2 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة ،مصدر سابق ،ص 296.

3 المصدر نفسه، ص 312.

4 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

5 المصدر نفسه، ص 314.

6 المصدر نفسه، ص315.

7 المصدر نفسه، ص317.

فكرة "الصفحة البيضاء" في العقل[1]، قبل أن يأتي بركلي وينفي المادة خارج العقل باعتبار الواقع مجرد إحساسات[2]، ويضع هيوم العقبات الكبرى عندما زعم أن العقل ليس جوهرًا بل "اسم لمجموعة من الأحاسيس"[3]، أما روسو فسنح لكانط نصف الحل الديني برفعه قيمة الشعور مقارنة بالعقل[4]، فاستلهم منه في "إميل" توحيدًا بين نقد العقل والإيمان كي ينقذ الدين من الانهيار والعلم من الشك الهيومي. وفي ثورته "الكوبرنيكية" بيّن كانط أن العقل ليس مجرد مُستقبل سلبيٍ للمعرفة، بل فاعلٌ ينظّم التجربة الحسية بواسطة بنيات فطرية، فصار يشكّل الواقع كما تُشكّل العدسة صورة المشهد[5]، رافضًا القول التجريبي بأن المعرفة تنبع من التجربة فقط، ومؤكّدًا مثالَي الرياضيات والمنطق اللذين لا ترتبط مصداقيتهما بالتجربة[6].

ويمرّ العقل لدى كانط بمرحلتين: استقبال الإحساس وتنسيقه في إطار الزمان والمكان ليكون مدركات حسية، ثم تطبيق مفاهيم كالسببية والوحدة لتحوّل هذه المدركات إلى معرفة عقلية، كما يختار العقل من الكمّ الهائل للمؤثرات ما ينسجم مع حاجاته، فتشبه أمه التي تتجاهل الضوضاء إلا حين تسمع حركة طفلها[7].

وفي نقده لشكّ هيوم في السببية، أكد كانط أن السببية مبدأ فطري سابق للتجربة[8]، بل إن العقل عبر "الحس السامي" ينقل الإحساس الخام إلى إدراك في الزمان والمكان[9]، ثم يعيد بناءه في "التحليل السامي" وفق مفاهيم عقلية منظمّة، كفهرس مكتبة ينظم بطاقات الكتب[10]، إذ

1 موقع إلكتروني lomustansiyaah edu .aq إطلاع عنه في مساء 28من أفريل توقيت 8:17

2 ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مصدر سابق ص320.

3 ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مصدر سابق ص321.

4 المصدر نفسه، ص324.

5 المصدر نفسه، ص333.

6 المصدر نفسه، ص335.

7 المصدر نفسه، ص338.

8 المصدر نفسه، ص340.

9 المصدر نفسه، ص341.

10 المصدر نفسه، ص342.

"الإدراكات الحسية بدون تدخل العقل تكون عمياء"[1]، وهو ما وجده هيغل حين قال: "قوانين المنطق وقوانين الطبيعة شيء واحد"[2].

وعندما انتقل إلى "نقد العقل العملي" تناول الأخلاق بما يخصّ العقل العملي لا النظري[3]، موضّحًا أن أساس الإرادة هو مبادئ داخلية تسوقها الحرية التي لا تثبتها التجربة بل وجدها العقل في ذاته[4] ليُستلّ منها افتراضات أخلاقية: حرية الإرادة، خلود النفس، ووجود الله، فلا ينبع الدين من البرهان العقلي بل من "الضمير الأخلاقي" الذي يحرّك الإيمان التزامًا لا ميتافيزيقا.

ولا ينسى ديورانت الإشارة إلى آراء كانط السياسية التي دعت إلى الحريات الفردية، ورأته أن صراع الفرد والمجتمع محرك للتقدم، فدعا إلى تقليص النزعة العسكرية واستثمار الموارد في التعليم، وكان مناصرًا للثورة الفرنسية كعلامة صعود للحرية والمساواة. ورغم إعجابه بفلسفة كانط[5]، نقد ديورانت تصوراته عن المكان والزمان من منظور علمي حديث، واعتبر أخلاقه المطلقة مكتسبًا اجتماعيًا لا فطريًا، إلا أن إرث كانط الفلسفي بقي عميقًا، خصوصًا في تأثيره على هيغل ونيتشه.

3/ جورج فيلهلم فريدريش هيغل(Georg Wilhelm Friedrich Hegel)

1770 – 1831

بعد تقديمه لفكر كانط، ينتقل ويل ديورانت في من عمله إلى استعراض فلسفة غيورغ فيلهلم فريدريش هيجل، حيث يعرضها في صفحات محدودة، مستندًا إلى خلفيته السردية في تناول الشخصيات الفكرية تقوم فلسفة هيجل، كما يعرضها ديورانت، على مفهوم الجدل

1 المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

2 المصدر نفسه، ص 343.

3 إيمانويل كانط نقد ملكة الحكم ترجمة غانم هنا ،مركز الدرسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى بيروت سبتمبر 2005ص 59.

4 إيمانويل كانط نقد العقل العملي ترجمة غائم هنا مركز الدرسات الوحدة العربية ،الطبعة الأول تشرين الأول أكتوبر 2008.

5 ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مصدر سابق ، ص368.

(الديالكتيك) الذي لا يُفهم بمعناه الجدلي الشكلي فحسب، بل باعتباره آلية عقلية للوصول إلى الحقيقة من خلال الكشف عن تناقضات الفكر وتحليلها.

وهذا المفهوم يجد جذوره في الجدل السقراطي، الذي كان يكشف بواسطة الحوار عن التناقضات الكامنة في الأقوال.

إلا أن الجدل الهيغلي يكتسب طابعًا شموليًا؛ إذ يراه وسيلة لتفسير التطور التاريخي للأفكارمن خلال صراع الأضداد.

فالحقيقة، حسب هيجل، ليست معطى ثابتًا، بل وحدة عضوية تنشأ من تصارع الأضداد،حيث لا يمكن إدراك أي فكرة إلا في علاقتها بغيرها من الأفكار،[1] كما يصرّح بقوله: "كل فكرة تتألف من مجموعة من الصلات والعلاقات".

ومن هذا المنطلق، يرى هيجل أن التاريخ ليس سلسلة من الحوادث العشوائية، بل مسار عقلاني منتظم، تحكمه قوانين منطقية داخلية تُفضي إلى التطور عبر الجدل، أي من خلال صراع الأضداد الذي ينتهي دوماً إلى وحدة أعلى.

ويُستفاد من هذا الطرح أن التغيير، في المنظور الهيغلي، لا يحدث إلا من خلال حركة التناقضات، التي تتفاعل فتنتج منها فكرة جديدة أشمل وأعمق، مما يجعل الفكر البشري في حالة تطور دائم نحو وعي أكثر كمالاً.

مع ذلك، يُلاحظ أن ديورانت رغم قيمته كمؤرخ للفكر – لم يُعطِ فكر هيجل ما يستحقه من تحليل وتعميق، إذ اكتفى بعرض عام وسريع لأبرز مفاهيمه، دون التوقف عند الأسس الميتافيزيقية المعقدةأو تعقيدات منهجه الجدلي، وهو ما يُعدّ نقصًا في مشروعه الموسوعي، لا سيّما وأن هيجل يُعدّ أحد أهم وأعمق فلاسفة العصر الحديث وأكثرهم تأثيرًا وتشعبًا.

1 المصدر نفسه، ص378.

4/ آرثر شوبنهاور 1860 – 1788 (Arthur Schopenhauer)

جاء شوبنهاور ليستكمل المشروع الكانطي، لكن من مدخل وجداني لا عقلاني؛ فملأ الفراغ الذي تركه "الشيء في ذاته عند كانط بمفهوم الإرادة ، معتبراً إياها جوهرًا ميتافيزيقيًا كامنًا يُحرك العالم بأسره، ويُفسر به الحياة لا من حيث مظاهرها الظاهرة، بل من خلال باطنها الدافع[1]. هذه الإرادة ليست حرة، بل عمياء، عنيفة، لا تعي ذاتها، وتدفع الإنسان دفعًا نحو استمرار الحياة، دون أن تمنحه سعادة حقيقية أو غاية أخلاقية.

لقد نشأ شوبنهاور في مناخ ثقافي يهيمن عليه القلق والتشاؤم، ما انعكس في مجمل فلسفته، وكان لعلاقته المعقدة بأمه أثر نفسي عميق، وهو ما لاحظه ديورانت حين قال: من يُحرم من حنان الأم ولا يعرف سوى كراهية الدنيا يعرف شيئًا من محاسنها"في كتابه الرئيسي العالم كإرادة وفكرة"، أعلن شوبنهاور أن الفلسفة ضلت طريقها، وأنه جاء ليصوب مسارها بالجمع بين العمق الألماني والوضوح الأسلوبي الذي افتقده سابقيه مثل كانط وهيجل.

استند شوبنهاور إلى الفلسفة المثالية، مؤكدًا أن الوعي هو الواسطة الوحيدة لفهم العالم، لا الواقع الخارجي كما تدعي المادية. وقد انتقد التصورات المادية البسيطة حين تساءل بسخرية: "كيف نفسر العقل كمادة ونحن لا نعرف المادة إلا عبر العقل؟"[2]. وبذلك، دعا إلى البدء بالذات والشعور الداخلي، متأثرًا بشعار سقراط: "اعرف نفسك."

في تصور شوبنهاور، لا يحكم العقلُ السلوك الإنساني، بل يخضع لإرادة لاشعورية؛ فالعقل لا يتقدم الإرادة بل يتبعها ويبرر نزعاتها، كما في تشبيهه الشهير: "رجل أعمى قوي يحمل على ظهره رجلاً أعرج مبصر".

هذه الإرادة هي القوة الحقيقية خلف الشر، الأنانية، والغريزة الجنسية، وهي المسؤولة عن مأساة الوجود البشري[3].

---

[1] ويل ديورانت ،قصة الفلسفة ،مصدر سابق،ص 398.

[2] ويل ديورانت ،قصة الفلسفة ،مصدر سابق،الصفحة نفسها.

[3] المصدر نفسه، ص400–404.

حتى الحب، في نظره، مجرد حيلة بيولوجية خدعتها الطبيعة للحفاظ على النوع، والزواج الناجح لا يقوم على العاطفة بل على إشراف العقلاء، إذ أن الحب لا وعي فيه العالم، عند شوبنهاور، شرير لأن جوهره إرادة لا تعرف التوقف، والرغبة فيها لا تنتهي، فتُغرق الإنسان في معاناة دائمة بين الألم والملل[1] وقد سخر من تفاؤل لايبنتز القائل بأن هذا "أفضل العوالم الممكنة"، داعيًا المتفائلين إلى زيارة المستشفيات والسجون لمعرفة الحقيقة[2].

لكن رغم هذا التشاؤم، لم يكن شوبنهاور عدميًا، بل اقترح سبيلًا للخلاص، هو قهر الإرادة عبر المعرفة والفن[3].

فالمعرفة تعمّق الوعي بالذات وتكشف خداع الرغبات، أما الفن، خاصة الموسيقى، فيوقف سطوة الإرادة مؤقتًا، ويجعل الذات تعيش لحظة "تأمل خالص" دون هدف أو رغبة[4].

في الفن، تصبح الذات متحررة، وتدرك المثل الأفلاطونية حدسيًا، لا عقلانيًا.

كما تأثر شوبنهاور بالفلسفة البوذية والهندية، فوجد فيها صدىً لأفكاره حول كبح الشهوة والتخلص من الذات، حيث اعتبر النرفانا[5] – حالة الفناء في اللا–رغبة – أسمى مثال للتحرر الإنساني[6].

وانطلاقًا من هذا، اعتبر أن الانتصار الحقيقي ليس لقاهر العالم، بل لمن قهر ذاته وأخضع إرادته.

في النهاية، فإن فلسفة شوبنهاور، كما عرضها ديورانت، ليست مجرد نظرية ميتافيزيقية أو أخلاقية، بل تجسيد لحياة عقل ساخط ومجروح، قرأ العالم من خلال معاناته الخاصة،

---

[1] تاريخ الفلسفة الحديثة ،يوسف كرم ،مرجع سابق ،ص302.

[2] المصدر نفسه، ص419.

[3] شوبنهاور، آرثر. العالم إرادة وتمثّلًا، المجلد الأول، ترجمة: سعيد توفيق، (القاهرة:المركز القومي للترجمة ،2010)ص145.

[4] ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مصدر سابق ص428.

[5] المصدر نفسه، ص 429.

[6] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

فحرّك الفلسفة نحو الغريزة والوجدان، مضيفًا إلى الفكر الغربي بعدًا جديدًا يربط الألم بالمعرفة، والتشاؤم بالحكمة، والحرية بالقهر الذاتي.

5/ هربرت سبنسر 1820 – 1903 (Herbert Spencer)

يُعدّ هربرت سبنسر من أبرز فلاسفة القرن التاسع عشر الذين حاولوا بناء نسق معرفي شامل يُفسّر الظواهر الكونية والإنسانية والاجتماعية استنادًا إلى مبدأ التطور.

وقد اتّسم مشروعه الفلسفي بطابعه التركيبي، حيث سعى إلى التوفيق بين معطيات العلم ومقتضيات الفلسفة، في محاولة لتأسيس "مركّب للمعرفة العلمية" على حدّ تعبيره[1].

وعلى الرغم من تأثّره بأوغست كومت، خاصة في اعتماده المنهج العلمي ورؤيته التقدّمية للتاريخ، فقد خالفه في التقسيم الثلاثي للمراحل الفكرية، إذ اعتبر أن الميتافيزيقا لا تزال مكوّنًا فاعلًا في بنية التفكير البشري كما تأثّر بعمق بأفكار دارون، لا سيما بمبدأ الانتخاب الطبيعي، فاستعار عنه مبدأ "البقاء للأصلح"، وعمّمه ليشمل الوجود بأسره، من الكائنات الحية إلى البُنى الاجتماعية والقيم الأخلاقية[2].

وبلغ هذا النسق ذروته في كتابه "المبادئ الأول"، حيث سعى إلى تحديد الإطار المعرفي لفلسفة علمية تُقِرّ بحدود العقل البشري، مؤكدًا وجود "قوة لا تُدرَك" تحكم الظواهر، وهي فكرة تقارب ما عبّر عنه كانط بـ"الشيء في ذاته"، غير أن سبنسر أدرجها ضمن مقاربة علمية تجريبية[3].

وفي ميدان علم الأحياء، يرى أن الحياة ليست سوى "تكيف مستمر بين العضوية والبيئة"، وأن تطوّر الكائنات يتم من البسيط إلى المعقّد وفقًا لقوانين طبيعية[4].

---

[1] كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد (القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012)، ص 309.

[2] ديورانت ويل قصة الفلسفة، مصدر سابق ص 453.

[3] المصدر نفسه، ص 456.

[4] المصدر نفسه، ص 467.

أما في علم النفس، فقد صاغ تصورًا جمعيًا للعقل باعتباره حصيلة لتراكم التجارب والخبرات عبر الأجيال، مؤكدًا أن العقل "سجل للارتباطات التي كوّنتها الخبرة"، وأن العادات والغرائز ما هي إلا سلوك مكتسب انتقل وراثيًا[1].

وقد طبّق مبدأ التطور ذاته في علم الاجتماع، حيث ميّز بين "المجتمع العسكري" القائم على السلطة والقسر، و"المجتمع الصناعي" الذي يقوم على الحرية الفردية والتعاون، معتبرًا أن البشرية تسير نحو نظام اجتماعي أكثر مرونة وتعقيدًا[2].

وفي المجال الأخلاقي، لم يفهم سبنسر الأخلاق كمعطًى ميتافيزيقي مطلق، بل اعتبرها نتاجًا تطوريًا ذا أساس تجريبي، حيث تُقاس القيم الأخلاقية بمدى خدمتها للحياة والبقاء، إذ أن "الخير" هو ما يدعم التوازن الاجتماعي، و"الشر" هو ما يعوقه، وفق تصوره للتطوّر كمعيار أعلى[3].

ومع ذلك، ينتقد ديورانت هذا النسق الأخلاقي من حيث افتقاده للبعد الروحي والوجداني، رغم اتساقه المنطقي، مشيرًا إلى أن سبنسر، في سعيه لتأسيس أخلاق علمية، فقد ما تمتاز به الأخلاق الدينية والفلسفية من حرارة إنسانية وأصالة شعورية.

6/ فريدريك نيتشه (Friedrich Nietzsche)

تتمحور فلسفة نيتشه حول مفهوم القوة كمقياس للخير والشر، حيث يرى أن الخير يحدده القوي وما يفرضه، بينما يُعتبر الضعف مرادفًا للشر بذلك، تتشكل الأخلاق عند نيتشه كأخلاق الأقوياء، لا على أساس خدمة الآخرين أو قيم إنسانية عامة، بل على اعتراف الأقوياء بأنفسهم كخيار للخير[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص 484.

[2] المصدر نفسه، ص 478.

[3] المصدر نفسه، ص 488الى 493.

[4] فريدريك نيتشه في جينالوجيا الأخلاق ترجمة فتحي المسكيني دار سيناترا – المركز الوطني للترجمة تونس 2010 ص 45.

في نقده للفكر الأوروبي الحديث، يشير نيتشه إلى أن التمرد على الكنيسة لم يُفض إلى التحرر الحقيقي من الأخلاق المسيحية، إذ تبقى الدعوات إلى الشفقة والمساعدة الاجتماعية متجذرة في قيم مسيحية كامنة، كما يقول: "لقد أقلعوا عن الكاثوليكية والبروتستانتية، ولكن لم يجرؤوا على الإقلاع عن الديانة المسيحية نفسها"[1]، ويمثل "النفسانيون الإنجليز" محاولة فلسفية لتعليل الأخلاق، لكنهم يطرحون لغزًا ذاتيًا[2].

وُلد نيتشه في بيئة دينية متشددة؛ والده كان قسًا وأمه متدينة[3]، رغم تديّنه الظاهري، فقد خاض صراعات روحية داخلية أدت إلى فقدانه الإيمان في سن الثامنة عشرة، وبدأ رحلته في البحث عن "إله جديد"[4]، وهو ما انعكس لاحقًا في مفهوم "الإنسان الأعلى"، المستوحى جزئيًا من فريدريك شيلر[5].

تأثر نيتشه بشكل كبير بشوبنهاور، لا سيما بعد قراءته "العالم كإرادة وتمثّل"[6]، كما كان معجبًا بالموسيقي فاغنر قبل نقده لاحقًا له، ورأى في الموسيقى تجسيدًا لإرادة الحياة، مؤكدًا أن "الحياة خطأ بغير الموسيقى"[7].

وهنا ينبثق مفهومه الأساسي: إرادة القوة، التي تتجاوز مجرد البقاء إلى إرادة الحرب والسيادة[8].

خدم نيتشه كجندي، لكنه بسبب ضعف بصره أصبح ممرضًا، مما يعبّر عنه ديورانت بتوصيفه "فتاة ترتدي درع جندي"، في إشارة إلى التناقض بين الجسد الضعيف والروح الطامحة للقوة.

---

[1] المصدر نفسه، ص 505.

[2] فريدريك نيتشه ،أصلا الأخلاق وفصلها ترجمة حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت،1983 ص 1.

[3] ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مصدر سابق ، ص507.

[4] المصدر نفسه، ص 508.

[5] المصدر نفسه، ص 509.

[6] وليم كلي رايت،تاريخ الفلسفة ،مصدر ،سابق ،ص375.

[7] ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مصدر سابق، ص510.

[8] المصدر نفسه، ص511.

بدأت مسيرته الفلسفية مع كتاب ميلاد المأساة (1872)[1] ، حيث فسّر الثقافة اليونانية عبر ثنائية ديونيسوس (الاندفاع الغريزي) وأبولو (العقل والنظام)[2].

هاجم الصورة الرومانسية للإغريق واعتبر سقراط بداية انحدار الثقافة من الغريزة إلى العقل[3]، ورأى أن انهيار المسرح التراجيدي جاء نتيجة عقلنة الحبكة[4]، لكنه أقر لاحقًا بقيمة الفن كضرورة متممة للعلم[5].

وصف ديورانت كتابه بأنه يحمل طابعًا ميتافيزيقيًا قريبًا من "الجدل التصاعدي" عند كانت كما انتقد الجامعات الألمانية لدعمها الفلاسفة الضعفاء على حساب العظماء[6].

في تطور فلسفته، انتقل نيتشه من الفن إلى الفكر مع كتاب "هكذا تكلم زرادشت"[7]، الذي يمثل نصه الفلسفي المركزي، وينقل أفكار "الإنسان الأعلى"، "موت الإله"، و"العودة الأبدية". زرادشت هو رمز فلسفي، يعلم البشر كيف يحققون الإنسان الأعلى، الذي يركز على الأرض لا على النجوم[8].

رغم أهمية هذا العمل، كان استقباله ضعيفًا، ما عمّق عزلة نيتشه، اعتبر الأخلاق التقليدية نتاجًا لتمرد الضعفاء والعبيد (اليهود والمسيحيين) على الأقوياء، وظهر ما يسميه "أخلاق العبيد" التي تمجد التواضع، مقابل "أخلاق السادة" التي تمجد القوة[9].

---

[1] وليم كلي رايت،تاريخ الفلسفة الحديثة ،مصدر سابق ،ص374.

[2] المصدر نفسه، ،ص37.

[3] فريدريك نيتشه مولد التراجيديا ترجمة شاهر حسين عبيد دار حواء للنشر والتوزيع الطبيعة الأولى2008.

[4] ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مصدر سابق، ص 514.

[5] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

[6] فريدريك نيتشه مولد التراجيديا ترجمة شاهر حسن عبيد دار حواء للنشر والتوزيع الطبعة الأولى 2008 ص21.

[7] موقع إلكتروني ترجمات.. «هكذا تكلم زرادشت.. كتاب للكل ولا لأحد» لـ«فريدريك نيتشه www.almasryalyoum.com تم الإطلاع عليه في 11:00ليلا.

[8] فريدريش نيتشه ،هكذا تكلم زارادشت ترجمة على مصباح 2007 Al-Kamel Verlagص 5.

[9] ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مصدر سابق ص528.

يؤكد نيتشه أن الخير والشر مفهومان تاريخيان وصراعيان لا حقائق ثابتة، وقدم هذه الأفكار في "ما فوق الخير والشر" و"تسلسل الأخلاق"[1]، في محاولة لتقويض الأخلاق التقليدية. رفض الديمقراطية والمساواة باعتبارهما تعطيان سيادة للضعفاء على الأقوياء . دعا إلى تربية "الإنسان الأعلى"، وهو قوي الإرادة، صلب، يحتقر الشفقة.

يرى ديورانت أن فلسفة نيتشه أقرب إلى خطاب وجداني جمالي منها إلى فلسفة منطقية نظامية، مع ميل مفرط لتمجيد القوة والعنف، مما يضعف مشروعه الأخلاقي، لأنه لا يقدم آليات واضحة للعدالة والتنظيم السياسي. وبحسب ديورانت: "لا داعي إلى حث الناس لأن يكونوا أشد قسوة وأكثر شرًا... إن الأقوياء لم يتأثروا بالأخلاق كثيرًا"[2].

[1] فريدريش نيتشه ماوراء الخير والشر ترجمة جيزيلا فالور حجار دار الفرابي شركة المطبوعة لبنانية الطبعة الأولى 2003.

[2] ويل ديورانت، قصة الفلسفة، مصدر سابق ص541.

الفصل الثالث

تاريخ الفلسفة المعاصرة

بعد عرضه لتاريخ الفلسفة من العصور القديمة إلى العصر الحديث، لم يتوقف ويل ديورانت عند الفلاسفة الكلاسيكيين، بل واصل مشروعه ليشمل فلاسفة القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، معتبرًا أن الانتقال إلى المعاصرة امتداد طبيعي لمنهجه في تتبع تطور الفكر الإنساني. فقد رأى أن فهم الفلسفة الحديثة يتطلب الغوص في التيارات التي أعقبتها، خاصة مع بروز الوجودية والعقلانية الجديدة، فوسّع رؤيته لتشمل التحولات الكبرى في الفلسفة المعاصرة في أوروبا وأمريكا.

المبحث الأول: الفلسفة المعاصرة في أوروبا

مع مطلع القرن العشرين، دخلت الفلسفة الأوروبية مرحلة جديدة تميزت بتعدد المناهج وتنوعها، بعدما ورثت تراكمات قرون طويلة، فانفتحت على قضايا جديدة مثل الوجود، المعرفة، الوعي، الزمن، اللغة، والقيم.

هذه التحولات لم تكن عبثية، بل جاءت نتيجة أزمات حقيقية يمكن إرجاعها إلى أزمة علم الطبيع وأزمة علم الرياضيات ،ما أدى إلى تطور كبير في لفكر التحليلي من جهة، واهتزاز بعض المواقف العقلية السائدة في القرن التاسع عشر من جهة أخرى. وقد نتج عن ذلك ظهور منهجين جديدين :المنهج الرياضي المنطقي و. المنهج الفينومينولوجي.

تجلت هذه المرحلة أيضًا في بروز تصورات جديدة للعالم، أهمها التصور اللاعقلي والاتجاه الميتافيزيقي الواقعي الجديد[1]، وهو ما يمكن مقارنته بالأزمة الكبرى التي شهدها عصر النهضة، والتي أطلقت الثقافة الأوروبية الحديثة[2].

ومن أبرز أعلام هذه المرحلة نذكر:

هنري برغسون الذي أعاد الاعتبار للحدس والزمن الحي،كروتشي الذي مزج بين الفن والفلسفة،

[1] م. بوشنسكي، الفلسفة المعاصرة في أوروبا، ترجمة: عزّت قرني، سلسلة عالم المعرفة، عدد 165، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992، ص 34.

[2] المصدر نفسه، ص 33.

برتراند راسلالذي مثّل التيار التحليلي المنطقي بلغة رياضية صارمة.
أعمال هؤلاء الفلاسفة شكّلت محاولات لتجديد الفكر الأوروبي في ظل التحولات العميقة التي شهدها العالم الحديث، وهو ما يتابعه ديورانت في تحليله لأفكارهم واستكشافه لموقعهم في مسار الفلسفة.

1/ هنري برغسون1859 / 1941 (Henri Bergson)

يُقدّم هنري برغسون، الفيلسوف البارز في هذا القرن[1] وفقًا لما عرضه ويل ديورانت ، فلسفته جاءت ردًّا على الصراع الحداثي بين العقلانية الذاتية والمذهب العلمي المستند إلى الثورة الصناعية ونجاحات العلوم الطبيعية.

ومن هذا المنطلق، هاجم برغسون الموقف الميكانيكي الذي عبّر عنه سبنسر، معتبرًا إياه خاليًا من الإحساس بالحياة والوعي، ودعا إلى إرجاع الاعتبار للوعي والإرادة والحدس.

ركّز برغسون على مفهوم الحياة بوصفها قوة خالقة داخلية لا يمكن للعقل وحده إدراكها، بل تتطلب نوعًا خاصًا من الإدراك هو الحدس الذي رأى فيه ديورانت مفتاحًا لفهم أعمق للزمن والواقع، إذ منح الثقة من جديد للفكر والإيمان في وجه هيمنة العلم.

يرى ديورانت أن شوبنهاور كان أول من ركّز على الحياة بوصفها قوة، ثم جاء برغسون ليعمّق هذه الرؤية مؤكّدًا أن الحياة ليست مجرد انعكاس ميكانيكي بل إرادة داخلية حيوية
من مؤلفاته الأولى كتاب الزمن والإرادة الحرة حيث يقدّم فيه تمييزًا دقيقًا بين الزمن كما يُقاس كمّيًا والزمن كما يُعاش داخليًا، أي ما يسميه بـ"المدّة"[2].

[1] برتراند رَسِل، تاريخ الفلسفة الغربية: الكتاب الثالث – الفلسفة الحديثة، ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص437.

[2] موقع إلكتروني ،الوعي هنري برغسون وإدراك الزمن pilosophy nou ,إطلاع عليه 12:23 صباحاً ماي 2025.

ثم تبعه بكتاب المادة والذاكرة" الذي يعالج العلاقة بين الجسد والروح من خلال دراسة الذاكرة والإدراك، مميزًا بين التذكّر النقي والتذكر كعملية دماغية[1].

وقد بلغت فلسفته ذروتها في كتابه "التطور المبدع" (1907)، حيث هاجم التصور الداروينيي الميكانيكي للتطور، واقترح بدلاً عنه وجود قوة حيوية مبدعة تدفع الحياة نحو مزيد من التعقيد والتفتح، أطلق عليها اسم "الدفعة الحيوية(Élan Vital) " ، وهي عنده ليست سوى تعبير عن الله كقوة خلاقة متجاوزة للاهوت التقليدي[2].

يرى برغسون أن العقل قد نشأ بوظيفة خدمية لتكييف الإنسان مع عالم المادة، لذا فإنه يميل إلى التعامل مع الأشياء الصلبة والمحددة، مما يجعله غير مؤهل لفهم تدفق الحياة المستمر، كما يظهر في قوله: "العقل الإنساني يشعر بأنه في وطنه مادام مقيماً بين الأشياء الصلبة[3] ".

وقد ميّز بين الذاكرة العادة والذاكرة المحضة[4]، معتبرًا أن المخ جهاز مادي في حين أن العقل قوة حرة لها القدرة على التفكير والاختيار، وضرب لذلك مثاله الشهير بعلاقة علاقة الملابس بالملابس نفسها: فسقوطهما معًا لا يعني أنهما شيء واحد[5].

ويُرجع سبب الخلط بين المخ والعقل إلى أن الذكاء باعتباره أحد مكونات العقل – قد تطوّر لخدمة الحاجات المادية، فبات العقل يُقارن بآليات الدماغ البيولوجية، مما أدى إلى اختزال العمليات العقلية في التصورات المادية.

ينتقد برغسون العقل التحليلي لأنه يرى الواقع كسلسلة لقطات منفصلة، بينما الحقيقة – من

---

[1] هنري برغسون، المادة والذاكرة، ترجمة: إمام عبد الفتاح إمام، مؤسسة هنداوي، الفصل الثاني، نُشر على موقع هنداوي، اطلع عليه في 14 ماي 2025، على الرابط: https://www.hindawi.org.

2 وليم كلي رايت، تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة محمود سيد أحمد (بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2010)، ص 535.

3 هنري برغسون، التطور المبدع، ترجمة جميل صليبا، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع، بيروت، المكتبة الشرقية، 1981، ص 1.

4 هنري برجسون، التطور الخالق، ترجمة محمد محمود قاسم، مراجعة نجيب بلدي، تقديم رمضان بسطاويسي محمد، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2015)، ص 7.

5 ويل ديورانت، قصة الفلسفة مصدر سابق ص560.

وجهة نظره – هي تدفق حي ومستمر، شبيه بآلة التصوير السينمائي التي تلتقط صورًا جامدة لا تكتسب الحياة إلا من خلال اتصالها ببعضها البعض بالحركة[1].

وبالتالي، يدعو برغسون إلى تجاوز العقل التحليلي نحو الحدس، الذي يمنحنا وعيًا مباشرًا بفرادة الكائنات دون وساطة الأنساق العقلية[2].

كما أنه يشكك في التفسير المادي للتشابه بين أعضاء الكائنات، متسائلًا عن سرّ تشابه عملية التكاثر أو البصر بين أنواع حيوانية ونباتية مختلفة.

في هذا السياق، يطرح برغسون تصورًا تطوريًّا للحياة، من مرحلة النبات. حيث السكون[3]، إلى مرحلة الحيوان التي تتميز بالغرائز، وتبلغ ذروتها لدى النمل والنحل[4]، ثم إلى الإنسان الذي يمثل العقل والحرية. ويقول: لقد كانت الحياة في مبدأ ظهورها تتمثل في النبات وحده، ولكنها لم تقنع بالبقاء سجينة في النبات..."[5].

أما عن الإله ، فهو عند برغسون ليس كائنًا مطلقًا بل هو الحياة نفسها في تطورها الدائم، الدفعة الخلاقة التي تدفع الإنسان نحو التحرر من قيود المادة[6].

فالخلق، عنده، تجربة داخلية فردية، يعيشها الإنسان في كفاحه ومعاناته واختياره، دون أن يكون الله حلقة مادية ضمن الكون، بل كيان متعالٍ عنه[7].

ينتهي ديورانت إلى عرض برغسون في صورة فلسفية بنّاءة، تقدم رؤية تفاؤلية ترى في الحياة قوة قادرة على الانتصار حتى على الموت، وتعتبر الفلسفة تجربة إنسانية تتغير حسب العصر

---

1 المصدر نفسه، ص561.

2 هنري برغسون: بحث في المعطيات المباشرة للشعور، ترجمة الحسين الزاوي، المنظمة العربية للترجمة بيروت – لبنان، ط1، 2009، ص11.

3 هنري برغسون، التطور الخلاق، ص9.

4 المصدر نفسه،الصفحة نفسها.

5 ويل ديورانت، قصة الفلسفة مصدر سابق ص566.

6 هنري برغسون التطور الخلاق ص9.

7 المصدر نفسه، ، نفس الصفحة.

والظروف، وليست تفكيرًا نظريًا خالصًا[1].

لكن رغم إعجاب ديورانت بإحياء برغسون للإيمان والحيوية، فإنه ينتقده بقوة، معتبرًا أنه أفرط في تمجيد الحدس وأهمل قيمة العقل. ويقول" :لقد هاجم برغسون العقل وأرادنا أن نأخذ بحكم البصيرة..."[2]. فالبصيرة، كما يرى، مثل الحواس، يمكن أن تخطئ، ولا بد من موازنة كل من العقل والبصيرة بالتجربة.

كما ينتقد ديورانت التصور القائل إن العقل يُدرك الحياة على شكل لقطات ثابتة، مشيرًا إلى رأي ويليام جيمسالذي يرى الفكر كسيل متصل لا كتيارات متقطعة، معتبراً اعتماد برغسون على البصيرة رجوعًا إلى الوراء، أشبه بـ"تصحيح أوهام الشباب بخرافات الطفولة"[3].

ومع ذلك، يعترف ديورانت بدور برغسون في إعادة الاعتبار للإيمان والحيوية في زمن هيمنت فيهالنزعة الآلية والمادية تمامًا كما حاول كانط من قبله التصدي للعقلانية الجافة والإلحاد.

2/ بندتو كروتشي1952 1866 (Benedetto Croce)

بالاعتماد على ما عرضه ويل ديورانت، يُقدَّم بندتو كروتشي بوصفه مفكرًا إيطاليًّا استثنائيًّا، لا يجمعه وبرجسون أيّ شبه، إذ يعرض ديورانت مقارنة بينهما تُظهر التناقض الجذري في شخصيتيهما.

فبرجسون "صوفي" يميل إلى الوضوح "الخادع"، ويتحدث بلغة التطور المتلبسة بالنزعة الدينية، بينما كروتشي "مرتاب"، ذو أسلوب "ألماني غامض" لكن بروح "هيغلية أمريكية"، وهو "عدو للنظام الكهنوتي"، فقد إيمانه الديني واستعاض عنه "بعبادة الجمال" في سياق فلسفي خالص.

ففي سنة 1883، وقعت الهزة الأرضية الكبرى التي أفقدته والديه وأخته الوحيدة، ونجا هو بأعجوبة بعد أن ظل تحت الأنقاض لساعات، وتحطم جسده[4]. ربما هذه الحادثة المأساوية التي

1 ويل ديورانت، قصة الفلسفة مصدر سابق ص567.

2 المصدر نفسه، ص568.

3 ويل ديورانت، قصة الفلسفة مصدر سابق ،الصفحة نفسها.

4 كروتشيه ،فلسفة الفن،ترجمة سامي الدروبي ،المركز الثقافي العربي ،الطبعة الأولى ،تشرين أكتوبر 2009 ص8.

شكلت فكر كروتشيه.

كروتشي، حسب ديورانت، كسر التقاليد الفكرية الإيطالية التي كانت تميل إلى الخضوع للكنيسة أو السكون اللاهوتي، وأسهم في إحياء الفلسفة الإيطالية من خلال مقاربات جمالية ونقد تاريخي متحرر من اللاهوت.

وقد بدأ مسيرته الفكرية بمقالات في الماركسية والاقتصاد متأثرًا بأستاذه لابربولا، الذي دفعه لقراءة "رأس المال" لماركس. وفي هذا السياق، يعلق ديورانت بأنه أحب ماركس كمن يقع في الحب متأخرًا، لكنه لم يلبث أن عاد إلى الفلسفة، التي وجد فيها خلودًا أعمق من السياسة والاشتراكية[1].

كان موقف كروتشي من ماركس وإنجلز مزدوجًا، إذ اعترف لهما بالفضل في صياغة نظرية كبرى، لكنه رفض الحتمية الاقتصادية كتفسير وحيد للتاريخ، رافضًا اختزال حركة التاريخ في العامل الاقتصادي.

كذلك رفض المادية كمنهج علمي أو فلسفة للحياة، وأصر على أن "اللامادي هو الحقيقة الأولى والأخيرة". وأطلق على فلسفته اسم "فلسفة الروح"، إيمانًا منه بأن الفكر والوعي هما الأصل، وأنه يكمل مسيرة هيجل، لكن على طريقته الخاصة.

وهو يرى، كما عبّر، أن هيجل من العباقرة التأمليين في مصاف أفلاطون، وأرسطو، وديكارت، وفيكو، وكانط[2]، كروتشي ينظر إلى العالم بوصفه تركيبة من الأفكار المجردة، وليس من مادة أو واقع فيزيائي. ويرفض تقليص الفكرة إلى نتائج عملية، بل يحاول تفسير العالم من خلال العلاقات بين الأفكار ذاتها. فالفكرة عنده تمثل الكلّي: الكم، الكيف، التطور... مع هذا، يبقى معاديًا للميتافيزيقا التقليدية والدين، رغم تبنيه أحيانًا أسلوبًا غامضًا يبدو قريبًا منها.

1 كروتشيه ،فلسفة الفن،ترجمة سامي الدروبي ،المركز الثقافي العربي ،الطبعة الأولى ،تشرين أكتوبر 2009 ص 577.

2 خديجة زتيلي ،بنديتو كروتشة والنزعة التاريخية المطلقة .المركز العربي الإسلامي للدرسات الغربية،8552/2007 ص44.

وقد أطلق على بحوثه اسم "المنطق"، كما يشير ديورانت، توهُّمًا منه بابتعاده عن الميتافيزيقا القديمة، معتبِرًا الميتافيزيقا امتدادًا للاهوت وأن رجال الدين في القرون الوسطى هم من صاغوها.

يرفض كروتشي العقائد الدينية، ويجمع بين المثالية الفلسفية وإنكار القيمة الدينية للوجود. فهو يؤمن بـ"حرية الإرادة" لكنه لا يعترف بخلود الروح، إذ يرى أن الروح لا تخلد إلا في شكلها الثقافي الجمالي. ويستبدل الدين بـ"عبادة الجمال والثقافة"، ويصرّح: «إن دينهم تراث فكري ورثوه عن الشعوب المتأخرة البدائية، أما ديننا فهو تراثنا الفكري الذي ورثناه عن أنفسنا»[1].

يرى كروتشي أن الدين ظاهرة مؤقتة في تطور الوعي، قائم على الخرافة والأسطورة، ويرفض العلاقة بين الدين والفلسفة، فالأولى قائمة على التسليم الإيماني، والثانية على التفكير الحر، ومن خلال العقلانية والنقد، تسحب الفلسفة من الدين أسسه وتكشف عن طبيعته المؤقتة، إذ أن الدين مرحلة ثقافية عابرة، أما الفلسفة فهي جوهر ثابت للروح، والعلم الروحي الأعلى.

يُظهر تحليل ديورانت أن فلسفة كروتشي تجمع بين المثالية الروحية والصرامة التاريخية، مع اهتمام خاص بالنشاط النظري والفني. وقد بذل كروتشي جهدًا واعيًا للتخلص من النزعة المدرسية الجافة، منتقلاً نحو فكر حي ومتفاعل مع الواقع. وتناول في كتاباته الفلسفة والتاريخ، مقدمًا رؤى حول المنطق والميتافيزيقا ومشكلة حرية الإرادة، لكنها ظلت وفية للفلسفة المثالية[2].

فكره لم يكن عبثيًا، إذ تأثر بثلاثة فلاسفة يعدّهم المراجع الأساسية لفلسفته: فيكو، هيجل، وماركس. وقد خصّ كل واحد منهم بكتاب مستقل حلل فيه أفكارهم، ناقدًا ومثنيًا في آنٍ معًا[3].
في كتابه عن التاريخ، يرى كروتشي أن التاريخ فلسفة في حركة. فهو لا يقتصر على عرض الأحداث، بل يتأمل في تطور الوعي الإنساني. والمؤرخ الحق، في رأيه، لا يقدّم وقائع جامدة، بل رؤية حيوية تتأثر بالأسباب والمسببات[4]، داعيًا كما دعا فيكو إلى أن يكون المؤرخ فيلسوفًا.

1 ويل ديورانت، قصة الفلسفة مصدر سابق ص 578.

2 خديجة زنتلي ،مرجع سابق ص28.

3 المصدر نفسه، ص29.

4 المصدر نفسه، ص578.

كروتشي انتقد المؤرخين ونظرياتهم، معتبرًا أن الدقة العلمية الزائدة جعلتهم يغفلون عن الحقيقة[1].

واستشهد بتعريف روسو للتاريخ بأنه فن "اختيار أكذوبة تشبه الحقيقة"[2]، أي أن المؤرخ لا يقدّم حقائق نهائية، بل رؤى محتملة[3].

وهو ينتقد هيجل وماركس بأنهم حوّلوا التاريخ إلى منطق صارم ففقد حيويته. ويرى أن المادية التاريخية لا يمكن أن تكون فلسفة للتاريخ[4]. فالتاريخ عنده ليس سردًا ميكانيكيًا، بل استخلاص للمعاني وتحليل للعلاقات بين الأحداث، والتاريخ حين يُكتب بروح فلسفية يغدو علم النفس الحقيقي للإنسان.

في تحليله لتطور كروتشي، يشير ديورانت إلى أن دراسته للتاريخ والأدب قادته إلى الفلسفة، حيث ركز على الجمال والنقد الفني. ومن أبرز مؤلفاته "الجمال" (1902)، الذي يفصل فيه الفن عن الميتافيزيقا والعلم. فعلم الجمال عنده هو مجال تجلي الروح، وهو يدرس جميع أشكال التعبير التي تصوغها الروح في صور جزئية. وتُقدّم العلوم فوائد نفعية، أما الفنون فتقدّم الجمال، وهي أكثر اتصالًا بالحقيقة الفردية. بينما العلم ينتقل إلى عالم المجردات، كما في نظرية أينشتاين.

الفن عند كروتشي ينبع من القدرة على تصوير صورة ذهنية؛ فالخيال يسبق الفكر، وهو شرط له. ويقول ميخائيل: "الإنسان لا يرسم بيده بل برأسه"[5]، أي أن الفن عملية ذهنية داخلية، وليس مجرد مهارة يدوية. فهو رفض مفهوم الجمال الخارجي، وعدّ الجمال تعبيرًا صادقًا عن الجوهر الداخلي للشيء.

ويتطرق ديورانت إلى تذوق الفن عند كروتشي، مشيرًا إلى أن التلقي لا يتعلق بما نراه، بل

1 ويل ديورانت، قصة الفلسفة مصدر سابق ،الصفحة نفسها.

2 المصدر نفسه ،ص579.

3 المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

4 خديجة زنتلي ،مرجع سابق ،ص51.

5 ويل ديورانت ، قصة الفلسفة مصدر سابق ص581.

بقدرتنا على تكوين صورة ذهنية داخلية للعمل، فالمتلقي فنان من نوع آخر، يعيد خلق الصورة الذهنية التي أنشأها الفنان.

وفي الختام، يصف ديورانت فلسفة كروتشي بأنها غامضة، "مظلمة كليل بلانجوم"[1]، خالية من الروح رغم تسميتها بـ"فلسفة الروح"، وغير عملية رغم تسميتها بـ"الفلسفة العملية".

ويأخذ عليه دمج التاريخ بالفلسفة دون رؤية شاملة تبرز تفاعل العوامل الاقتصادية والسياسية والدينية والفنية في كل عصر. كما يشكك في جعل التصور الذهني جوهر الفن، مؤكّدًا أن قيمة العمل الفني لا تُقاس بنية الفنان بل بأثره، وأن الجمال قد يبقى لغزًا مستعصيًا حتى عند أعظم الفنانين.

3/ برتراند راسل(Bertrand Russell) 1872–1970

يعرض ويل ديورانت في كتابه أبرز مؤلفات برتراند راسل الأولى، وعلى رأسها مؤلفه "التصوف والمنطق"، حيث دافع فيه عن المنهج العلمي والمنطقي، مهاجمًا النزعات الصوفية التي ترتكز على الحدس باعتبارها تفتقر إلى دقة التحليل العقلي. لقد سعى راسل من خلال هذا المؤلف إلى التمييز بين قطبي النشاط الثقافي الإنساني: من جهة، التصوف القائم على الإدراك المباشر الخالي من المقومات المنطقية، ومن جهة أخرى، العقل التحليلي القائم على البرهان والاستدلال[2].

ويورد ديورانت قولًا طريفًا لراسل مفاده أنه لم يدخل السينما في حياته، إلا بعد أن قرأ ما كتبه الفيلسوف برغسون عن تشبيه الحياة بالشريط السينمائي، وهو ما أثار فضوله، غير أنه لم يتأثر فعليًا بأفكار برغسون. أما شغفه الحقيقي فكان بالرياضيات؛ إذ يؤكد ديورانت أن «راسل لا يتخذ معبودًا آخر غير الرياضيات»[3]، فهي في نظره المصدر الأسمى للحقيقة، وهي التي تمنحه صفاءً

1 المصدر نفسه ،ص583.

2 محمود محمد علي،التصوف والمنطق عند برتراند راسل ، 18 سبتمبر 2021 ،ص3.

3 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة مصدر سابق ص586.

عقليًا وجمالًا صارمًا لا تتيحه العواطف أو الأدب الكلاسيكي، الذي لم يكن ميالًا إلى دراسته، لا سيما أدب الإغريق.

ومن هذا المنطلق، دعا راسل إلى إصلاح التعليم من خلال منح العلوم الطبيعية والمنطقية مكانة محورية، بحيث يشبهه ديورانت في هذه النزعة الإصلاحية بالفيلسوف البريطاني "هربرت سبنسر".

وقد رأى راسل أن كثيرًا من المشكلات الفكرية مردها إلى غموض المفاهيم وسوء الفهم، وهو ما يمكن تجاوزه عبر الدقة المنطقية والتحليل المفهومي الصارم.

وفق تصور ديورانت، كان راسل يؤمن إيمانًا مطلقًا بالعقل، ويرفض كل أشكال الوهم والخرافة، ويقول: "هذه هي ديانة الفكر الذي يحرق بلهيبه المشتعل"[1].

إن إيمانه بالرياضيات لم يكن مجرد تفضيل معرفي، بل كان يحمل طابعًا جماليًا وفلسفيًا، حيث يرى أن الرياضيات، مثل الموسيقى، تمثل فنًا متعاليًا عن العاطفة، يقود العقل إلى كمال المنطق. وقد أعجب على وجه الخصوص بالرياضيات الحديثة التي تجاوزت البديهيات القديمة وزلزلت أركان النسق التقليدي.

ومن الأمثلة التي يعرضها ديورانت، أن الأعداد الزوجية تمثل نصف الأعداد كلها، ومع ذلك فإن هناك من الأعداد الزوجية ما يعادل في عدده كل ما يوجد من أعداد، لأن لكل عدد فردي ضعفه الزوجي. ويضيف راسل: "هذا هو كل شيء بالنسبة إلى اللانهاية الرياضية، فهي كلٌّ يحتوي على أجزاء، في كل جزء منها من الأجزاء ما في الكل"[2].

من هنا، كان هدف راسل أن ترتقي الفلسفة إلى منزلة الرياضيات، فتكون صارمة ومتحررة

1 المصدر نفسه ،ص587.

2 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة مصدر سابق ص588.

من الزمان والمكان، لا تبحث في الأشياء بل في العلاقات الثابتة بينها. ويضرب مثالًا منطقيًا شهيرًا: إذا كانت (س = أ) و(أ = ب)، فإن (س = ب)، بغض النظر عن مضمون الرموز.

ويصرّح بأنه "ينبغي أن تكون فروض الفلسفة قضايا مسلَّمًا بها". كما يشبه الحقيقة في الفلسفة بعالم المثل لدى أفلاطون، أو الجوهر الواحد لدى سبينوزا، إذ يرى أن الحقيقة لا تكمن في الواقع المادي، بل في النماذج الفكرية الكلية.

وفي إطار رفضه للتناقضات المنطقية التي يراها في العالم، تخلى راسل عن الدين التقليدي، لأن منطقه الرياضي الصارم لم يسمح له بالإيمان بإله في عالم يسوده التناقض، عالم لا يمكن إلا أن يكون من صنع شيطان ساخر[1]. ومع إيمانه العميق بفناء الإنسان والكون، فإنه لم يستسلم، بل دعا إلى الكفاح والاستمرار، متابعًا سبنسر في رؤيته الكونية للفناء الحتمي.

ويصور ديورانت راسل كشخصية فلسفية بدأت كفيلسوف منطقي، ثم تطورت إلى مصلح اجتماعي، إذ دفعه رعبه من الحروب إلى تبني نقد جذري للملكية الخاصة والدولة، معتبرًا أن جذور العنف تكمن في النظم الاقتصادية والسياسية القائمة. من هنا، دعا إلى الاشتراكية بوصفها حلًا، وإلى تحرير الفرد من سطوة السلطة والجماعة، مؤمنًا بأن الحرية والنقاش الحر هما السبيل لتجاوز العقائد الجامدة.

وكان التعليم، في نظر راسل، الأداة الجوهرية لإعادة بناء الإنسان والمجتمع، على أسس عقلانية وأخلاقية جديدة، تقوم على مبدأي الاحترام والتسامح. وقد أكد ديورانت أن راسل رأى في المدرسة المفتاح الحقيقي لبناء المدينة الفاضلة.

غير أن ديورانت يلفت في ختام عرضه إلى مفارقة لافتة في فلسفة راسل: فقد عُرف بدقته العقلية في المنطق والرياضيات، إلا أنه لم يطبق هذه الصرامة ذاتها على آرائه الاجتماعية والسياسية، التي غلبت عليها نزعة عاطفية ومثالية، تجلّت في تصوره لمجتمع يُفضّل الفن على الثروة، رغم أن الواقع محكوم بالضرورات الاقتصادية لا الجمالية. وقد تلقّت مثاليته صدمة عنيفة

1 المصدر نفسه ،ص589.

عند زيارته لروسيا، حين واجه قمع الحريات وفشل التجربة الاشتراكية، مما زعزع إيمانه بالفكر الذي كان يتبناه. وعلى العكس، وجد في الصين راحة نسبية، وأعجب بحكمتها وواقعيتها واتساع أفقها العقلي، فبدأ يدرك محدودية مركزية الغرب.

ومع مرور الزمن، نضج فكر راسل وتعمّق وازداد اعتدالًا، دون أن يفقد صدقه الإنساني وبساطة أسلوبه، ليبقى أحد أبرز الفلاسفة الذين جمعوا بين دقة الفكر ودفء الشعور.

المبحث الثاني: الفلسفة المعاصرة في أمريكا

في سياق عرضه للفلسفة المعاصرة في أمريكا، يميز ديورانت بين تيارين فكريين: أحدهما ذو جذور أوروبية، يهيمن على الولايات الشرقية ويتأثر بالثقافة البريطانية، ويمثله جورج سنتيانا، الذي يُعد أمريكيًا بالجغرافيا فقط، بينما بقي مرتبطًا بالروح الأوروبية. أما التيار الثاني فهو أمريكي خالص، ينبع من بيئة عملية تعكس الحياة اليومية في الولايات المتحدة، كما يتمثل في فلاسفة كوليم جيمس وجون ديوي.

1/جورج سنتيانا(George Santayana) 1863–1952

من أبرز فلاسفة التيار الأول، يُقدم ديورانت جورج سنتيانا من خلال مؤلفه الشهير حياة العقل" الذي صدر في خمسة مجلدات وحقق شهرة واسعة. هذه الأجزاء تناولت العقل في الإدراك السليم، وفي المجتمع، وفي الدين، وفي الفن، وفي العلم، وقد تأثر في كتابته بأعمال هيجل[1]. ويصفه ديورانت بأنه جمع بين الذوق الأرستقراطي المتوسطي والحرية الفردية الأمريكية[2]، وأنه تحدّث بلهجة وثنية كأنّه حكيم من العصور القديمة، نافذ البصيرة، ينظر إلى الحاضر من علٍ. وقد مدح أسلوبه قائلاً إن الفلسفة لم تلبس ثوبًا جميلاً منذ أفلاطون[3].

بعد مغادرته جامعة هارفارد، ظن سنتيانا أن مسيرته الفكرية انتهت، لكنه فاجأ العالم بعمل

1 قد تكون الديانة تجسيد للعقل عن جورج سنتيايا وكتابه حياة العقل،ترجمة رجائي عطية،دار الهلال 2009،ص5.

2 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة مصدر سابق ،ص602.

3 المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

جديد الشك وإيمان الحيوان سنة 1923، وقدّمه كمقدمة لنظام فلسفي جديد[1]. في هذا العمل، دعا إلى تجاوز الادّعاء الفلسفي الصارم، فالفلسفة عنده ليست إعلانًا للحقيقة بل ممارسة للحرية الفكرية. لم يطرح فلسفة جديدة بالمعنى التقني، بل قدّم تأملات تنبض بالحكمة والذكاء. دعا لاحترام حرية التفكير، ورفض فكرة أن يفكر الجميع على منوال واحد، وأكد على الصفاء الداخلي.

يرى سنتيانا أن النظريات المعرفية شبيهة بنسيج العنكبوت، عاجزة عن التطور، وبدأ مساره الفلسفي من هذا النقد. فقد شكّ في أشياء أساسية كالذاكرة والحواس، لكنه لم يجعل الشك غاية في ذاته؛ فبالنسبة له، الشك طريق مؤقت، ينتهي في الأخير إلى نوع من الإيمان الطبيعي، وهو ما أسماه إيمان الحيوان: أي أن الإنسان، مثل الحيوان، يعود في النهاية إلى الإيمان بشيء ما دون تعقيده. ومثال ذلك أن تشم رائحة فتحس بشيء مباشر، وهذا الإحساس الصافي هو "الكشف عن الجوهر"[2]، وهو الذي يمنحنا إدراكًا لا يحتاج إلى تحليل أو تفكير طويل.

ينتقد المثالية بقوله إنها صحيحة من حيث الشكل، لكنها لا تُفضي إلى نتائج عملية كبيرة، ويرى أن الشك المفرط مرض، مشيرًا إلى الفلسفة الألمانية التي غرقت في الوسواس، مثل مجنون يغسل يديه من أوساخ وهمية[3]. ويقترح فلسفة متوازنة: شك جزئي لإيقاظ الفكر، لكنه لا يغرق في قلق دائم، لأن الحياة في نظره أهم من المنطق ومن التجربة المباشرة والنظريات.

ينتقل ديورانت إلى عرض أفكار سنتيانا حول "العقل في العلم"، مبرزًا اعتقاد الفيلسوف بأن العقل ليس عدوًا للغرائز، بل وسيلة لتوفيقها وتحقيق نجاحها. فالعقل مزيج سعيد بين الحافز والفكر: الحافز يدفعنا للعمل، والفكر ينظم هذا الدافع ويوجهه، وإذا طغى أحدهما على الآخر يصبح الإنسان مجنونًا. هكذا، يُشبّه سنتيانا العقل بإله في تنظيمه وحكمته[4]. وبالرغم من تأكيده أن العلم ليس معصومًا من الخطأ، إلا أنه يراه الطريق الأوثق لفهم العالم.

---

1 المصدر نفسه ،الصفحة نفسها.

2 المصدر نفسه ،ص603.

3 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة مصدر سابق ،ص603.

4 المصدر نفسه ،ص604.

لا يأتي سنتيانا بفلسفة مبتكرة، بل يعيد قراءة مفاهيم الفلاسفة السابقين كديمقريطس (المادة) وأرسطو (الواقعية) وتطبيقها على الواقع. ويؤمن بأن كل شيء مادة، حتى لو لم يُعرّف المادة بدقة، متأثرًا بأصدقائه سميث وجونز. كما أنه يرفض المذهب الحلولي الذي يرى أن الله هو كل شيء، معتبراً إياه مجرد هروب من الإلحاد، ويرى أن العالَم إذا خُلع منه الإيمان لا يبعث على الطمأنينة.

في هذا السياق، يطرح سؤالاً عميقًا: لماذا عاد الضمير الإنساني في النهاية إلى الغيب رغم انتشار المادية؟ ويجيب بأن النفس الإنسانية قريبة من الخلود والمثال، فلا تقنع بالواقع وتحزن لفكرة الموت[1]. لكنه رغم ذلك لا يؤمن بوجود شيء خالد، ويرى أن الإنسان بطبيعته لا يحب الفناء. كما يرفض أن يكون العقل قوة مستقلة تتحكم في الجسد، بل يراه ناتجًا عن تفاعل فيزيولوجي داخلي، وشبكة عضوية تتحكم فيها الحرارة والطاقة والغرائز.

ينتقد كذلك الفكرة الحيوية التي بشّر بها برجسون، قائلاً: كيف تكون هناك قوة حيوية خارقة والعقل يموت برصاصة؟! أين تلك القوة في جسد يذبل بسرعة؟ وهكذا يدحض أطروحات برجسون بأسلوب ساخر ومادي.

أما في قسم العقل في الدين، فيخبرنا ديورانت أن سنتيانا – رغم تشككه الديني – كان مولعًا بالكاثوليكية، وشبّه حبه لها بالحبّ الذي يخدع رجلًا لكنه لا يزال متعلقًا به. كان الإيمان عنده "غلطة جميلة". ورغم نزوعه الإلحادي، احتفظ بعاطفة كبيرة للكاثوليكية. رفض الفكرة القائلة إن الكون خُلق لأجل الإنسان، معتبراً ذلك غرورًا غير عقلاني. في ذات الوقت، رفض اختزال الدين إلى خرافة علمية؛ فالدين عنده ظاهرة طبيعية، والإنسان يميل فطريًا إلى الإيمان والعبادة. ويرى أن الخيال لعب دورًا محوريًا في نشأة الأديان، وخاصة عند الشعوب البدائية مثل تلك التي كتبت العهد القديم، ما أدى إلى ظهور لاهوت جامد.

يشرح ديورانت كيف يرى سنتيانا تطور المسيحية كنتيجة تفاعل بين الفلسفة اليونانية والأخلاق

1 المصدر نفسه ،ص605.

اليهودية، إذ انقسمت بعد ذلك إلى الكاثوليكية – التي تجسّد الروح الإنسانية الوثنية – والبروتستانتية، التي تمثل الأخلاق اليهودية الجافة. واعتبر أن الألمان لم يعتنقوا المسيحية بقلوبهم، بل بالقوة والحرب، وأضافوا إليها خرافات.

وينتقد البروتستانتية لأنها بلا روح شعرية، إذ تجاهلت رموز الجمال مثل مريم العذراء، التي وصفها بأجمل زهرة في باقة الشعر[1]. لذلك كان يزين غرفته بصور القديسين، بحسب ما رواه ديورانت، وهو ما يكشف عن حنينه الجمالي والديني رغم فلسفته النقدية.

2/ وليم جيمس(William James) ، 1842–1910

يقدّم ديورانت في سرده الفلسفي مقارنة دقيقة بين وليم جيمس وجورج سنتيانا، ليُبرز الفرق الجوهري بين التيارين اللذين يمثلانهما، إذ يرى أن فلسفة سنتيانا التي أوجزناها فلسفة أوروبية في كل شيء باستثناء المكان الذي وُضعت فيه[2]، في إشارة إلى أن سنتيانا ظل يحمل الطابع التأملي الكلاسيكي رغم إقامته في أمريكا، بينما يجسّد وليم جيمس جوهر الفكر الأمريكي بطابعه العملي، وروحه البراغماتية التي تمزج بين الفكر والحياة[3].

يُعد كتاب أصول علم النفس الذي نُشر سنة 1890 من أعظم مؤلفاته[4]، وقد استطاع جيمس من خلاله أن يمزج بين التحليل النفسي والتأمل الفلسفي، معتبرًا أن النفس لا تنفصل عن القضايا الكبرى كالإيمان. وبرغم اهتمامه بالعلم، إلا أنه انجذب نحو الفلسفة، بل حتى إلى الميتافيزيقا نفسها، حيث يعرّف الفلسفة بأنها "التفكير الوحيد للأشياء في أفضل طريقة شاملة مدركة"، وهو تعريف يكشف عن روحه البراغماتية التي تميل إلى الشمول والفهم الكلي، لا إلى التجريد الخالص.

من أبرز مؤلفاته الأخرى: إرادة الإيمان ،و"أنواع التجربة الدينية"، و"البراغماتية"، والكون المتعدد وكلها تنبض بمحاولة تقريب الفلسفة من الحياة العملية، بحيث لا يكون الفكر شيئًا غامضًا

1 ويل ديورانت ،قصة الفلسفة مصدر سابق، ص609.

2 قد تكون الديانة تجسيد للعقل عن جورج سنتيايا وكتابه حياة العقل،ترجمة رجائي عطية،دار الهلال 2009،ص5.

3 ويل ديورانت قصة الفلسفة ،مرجع سابق ،ص602.

4 المصدر السابق ،الصفحة نفسها.

أو منعزلاً عن الواقع، بل يعكس هذا الواقع بطريقة ذكية وبسيطة.

يرى ديورانت أن وليم جيمس خالف الفلاسفة مثل هيوم، حيث إن الفكر عند جيمس ليس انعكاسًا سلبيًا للأشياء، بل العقل ينظّم الإحساسات ليمنحها معنى. وقد رفض مذهب "الترابط أو التداعي" الذي يرى أن الفكر يتكوّن من عناصر بسيطة مترابطة، وأكّد عوضًا عن ذلك أن الوعي تيار متواصل، أطلق عليه "تيار الوعي"، حيث كل حالة عقلية تسلمك إلى أخرى، وهناك حالات مستقرة (كالإدراك والتخيل) وحالات انتقالية تصنع استمرارية الفكر.

كما يصرّ جيمس على أن العقل مستقل عن الجسد، والدماغ يعمل كآلة نقل فقط[1]، أي أنه لا يُنتج الفكر بل يمرّره. ومع مرور الوقت، بدأت ميول جيمس تتجه نحو البراغماتية، ويحلل ديورانت هذا الميل بتأثره بتجربته الدراسية في فرنسا. ويؤكّد أن جيمس تأثّر بمقالة لتشارلز بيرس نُشرت عام 1878 بعنوان كيف نجعل أفكارنا واضحة[2]، والتي أسّست للمذهب البراغماتي في الفلسفة، حيث تقاس الحقيقة بنتائجها لا بأصولها أو تجريدها، وبالتالي تصبح الفكرة صحيحة إذا أثبتت نفعها العملي، وخاطئة إذا لم تكن ذات فائدة.

ينقل ديورانت كيف طبّق جيمس هذا المبدأ حتى على المسائل الميتافيزيقية الكبرى مثل وجود الله، إذ تساءل عن القيمة العملية لفكرة الله: ما فائدتها لحياتنا؟ فإذا كان الله كاملًا وقادرًا على كل شيء، فذلك يعني سلب الإرادة البشرية، ما يتماشى مع المذهب الكلفيني ومذهب القدرية اللذين يؤمنان بأن الخلاص أو الهلاك مرهون بمشيئة الله، وليس بأعمال الإنسان[3]. من هنا، ينتقد جيمس هذه الرؤية لأنها تسلب الإنسان مسؤوليته وقدرته، وتجعل الحياة فاقدة للمعنى والدافع.

ويمتد هذا النقد إلى الجبرية العلمية كذلك، حيث إذا آمنا بأن العالم آلي بالكامل، فسنصبح كما لو كنا "ريشة في مهب الريح"، بلا قدرة على التغيير، مما يشبه – حسب رأيه – التصوف الهندوسي القائم على التسليم الكامل. غير أن جيمس، رغم إدراكه للمنطق الكامن في هذه

1 المصدر نفسه ،ص602.

2 المصدر نفسه ،ص603.

3 ويل ديورانت قصة الفلسفة ،مرجع سابق ،ص605.

الفلسفات، يرفض أن تقضي على دافع الحياة، ويصر على أن الحياة تستحق أن تُعاش بروح فاعلة وواعية.

وفي الختام، يعلّق ديورانت على فلسفة وليم جيمس بميزان عقلاني، فيقدّر تأثيره العميق في الفكر الحديث، ويقارن مواقفه بمواقف برجسون، مشيرًا إلى أن جيمس كان أكثر اعتدالًا منه. فبينما مال برجسون إلى الحدس وأهمل العقل، فإن جيمس سعى إلى التوازن بين التجربة والعقل، بين الأمل والواقع، في مسعى حثيث لجعل الفلسفة خادمة للحياة، لا منعزلة عنها.

3/ جون ديوي 1859–1952 – (John Dewey)

يرى ديورانت أن الفلسفة البراغماتية لم تكن، كما يُشاع، فلسفة أمريكية خالصة، بل نشأت كرد فعل عقلاني ضد الميتافيزيقا المجردة، لكنها سرعان ما انزلقت إلى مواقف دينية وإيمانية ذات طابع مثالي غير واقعي، متخلية بذلك عن مطلب الواقعية والعلمية الذي نادت به. لقد سلّمت هذه الفلسفة بمسائل ميتافيزيقية لا تُعدّ من صميم اهتمامات الفلسفة، مثل الاعتقاد في حياة أخرى. وقد انتقد ديورانت هذه النزعة البراغماتية التقليدية التي ظهرت لدى كل من بيرس وجيمس، معتبرًا أن الفلسفة ينبغي أن تنشغل بما هو أرضي وإنساني، لا بما هو غيبي ومطلق.

الخاتمـة

يمثل كتاب "قصة الفلسفة لويل ديورانت حجر الزاوية في محاولات تقديم الفلسفة للجمهور العام بأسلوب سردي شيق وبسيط، بعيدًا عن التعقيدات التقنية التي كثيرًا ما تردع القارئ العادي. لقد نجح ديورانت في بناء جسر بين الماضي الفلسفي العريق والوعي الجماهيري المعاصر، مقدمًا صورة شاملة عن فلاسفة العصور القديمة والوسطى، ومن ثم الفلاسفة الحداثيين إلى حد ما. ومع ذلك، فإن هذا النجاح لا يمنع من الوقوف عند مجموعة من الثغرات التي أثرت على قيمة الكتاب باعتباره مصدرًا موثوقا وشاملاً لتاريخ الفلسفة.

أول تلك الثغرات تكمن في الإهمال الواضح لفلاسفة الحداثة الأوائل الذين شكلوا بجدارة لبنة أساسية في بناء الفكر الحديث. إن تجاهل ديورانت لفيلسوف مثل رينيه ديكارت الذي يعد بحق الأب الروحي للفلسفة الحديثة، يُعدّ تقصيرًا جليًا لا يمكن التغاضي عنه.

أول تلك الثغرات تكمن في الإهمال الواضح لفلاسفة الحداثة الأوائل الذين شكلوا بجدارة لبنة أساسية في بناء الفكر الحديث. إن تجاهل ديورانت لفيلسوف مثل رينيه ديكارت، الذي يعد بحق الأب الروحي للفلسفة الحديثة، يُعدّ تقصيرًا جليًا لا يمكن التغاضي عنه. فديكارت لم يكن مجرد فيلسوف، بل مؤسسًا لمنهج شكّ علمي جديد أسس على العقل كمصدر وحيد للمعرفة، وهو بذلك أعاد صياغة العلاقة بين الإنسان والعالم من جذورها. أما ليبنتز، صاحب فلسفة الوحدة والانسجام، الذي أسهم بدوره في إرساء قواعد فلسفة العقل والمنطق الحديث، فلم يحظَ بمساحة كافية في سرد ديورانت. هذا الإهمال يشير إلى رؤية تاريخية ضيقة أو ربما وجهة نظر فلسفية ذات أولوية لا تتوافق مع المعايير الأكاديمية المتعارف عليها اليوم.

إن تقصير ديورانت لم يقتصر على الحداثة فقط، بل امتد إلى العصر المعاصر، حيث لم يخصص الوقت الكافي لفلاسفة صنعوا عصب الفكر في القرن العشرين وما بعده. فالفلسفة المعاصرة، بما تحمله من تنوع وحيوية، تمثل مرحلة غنية من التطور الفكري، يعكسها فلاسفة كبار كهيجل، كانط، هوسرل، هايدغر، سارتر، وفوكو، الذين كان لهم أثر بالغ في شتى مجالات الفلسفة الحديثة مثل الوجودية، الظاهراتية، النقد الاجتماعي والسياسي، والما بعد حداثة. هذا التهميش للفلاسفة المعاصرين، يحرم القارئ من رؤية التطور التاريخي العميق للجدل الفلسفي المعاصر، ويفقده فرصة التعرف على المبادئ الفكرية التي تؤثر في بنية الثقافة

الحديثة والعالم الذي نعيش فيه.

مع ذلك، ورغم هذه النقائص الجوهرية، لا يمكن إنكار القيمة الفريدة التي يقدمها ديورانت في إحياء الفلسفة ونشرها بأسلوب سردي شيق يُلهم القارئ ويجعله يتفاعل مع التراث الفلسفي بفضول واهتمام. فالكتاب لا يهدف فقط إلى النقل المعلوماتي، بل إلى الإضاءة على الفلسفة كرحلة إنسانية تستحق المتابعة والمناقشة. وبهذا المعنى، يُمكن اعتبار ديورانت كمدرس عام في الفلسفة، لا كخبير متعمق في كل تفاصيل الفكر الفلسفي، بل كراوي سردي يسعى إلى التشويق والإثارة الفكرية.

علاوة على ذلك، فإن إسهام ديورانت لا ينحصر فقط في تقديم سيرة الفلاسفة وأفكارهم، بل في استحضار روح العصر الذي عاشوا فيه، وتأثير تلك الظروف على نشوء أنماط التفكير المختلفة. هذا السياق التاريخي يجعل الفلسفة حية ومتجددة، لا مجرد نصوص جامدة أو تراكمات نظرية باردة، وهو ما يوفر للطالب والمحبين للفلسفة مدخلاً يسهل عليهم فهم الفلسفة كنتاج اجتماعي وثقافي، وليس مجرد تحصيل علمي مجرد.

إلى جانب ذلك، تشكل هذه المذكرة محاولة متواضعة لتعويض النقص في العرض الذي قدمه ديورانت، عبر التركيز على فلاسفة الحداثة والمعاصرة الذين غفل عن ذكرهم أو لم يعطهم المساحة التي يستحقونها. فالتاريخ الفلسفي لا يمكن أن يكون قصة منتهية أو حكاية واحدة متكاملة من دون التعرف على كل مكوناته، ومن دون إدراك أهمية التحولات الفكرية التي جرت في مراحل مختلفة شكلت ملامح العالم الفكري الحديث. إن استحضار تلك الشخصيات الفكرية، وقراءة أفكارهم في ضوء السياق التاريخي والثقافي، هو ما يجعل دراسة تاريخ الفلسفة عملية ديناميكية مستمرة، أكثر ثراءً وفائدة.

وأخيرًا، لا بد من التأكيد أن فلسفة ديورانت تبقى، رغم ما أشرنا إليه من قصور، جسرًا هامًا بين التراث الفلسفي القديم والمعاصر، ومقدمة قيمة لأولئك الذين ينوون الغوص أعمق في بحار الفلسفة. فالمسيرة الفلسفية ليست خطًا مستقيمًا، بل شبكة معقدة من التداخلات والأفكار المتجددة، تتطلب منا دوماً مواقف نقدية متجددة، وتطويرًا مستمرًا في طرق العرض والبحث.

وبهذا، تظل فلسفة ديورانت نقطة انطلاق، لا نهاية، تدعو إلى التوسع والتمحيص، إلى استجلاء المزيد من المفكرين والمذاهب، وإلى إعادة قراءة الفلسفة بما يتناسب مع مستجدات الفكر والحياة المعاصرة. فمن خلال هذا المنظور، نكون قد سبرنا أعماق تاريخ الفلسفة ليس فقط لنعرف ما كان، بل لنفهم كيف يستمر العقل الإنساني في صناعة ذاته وتطويره عبر الزمن.

قائمة المراجع

مصادر:

1/ ويل ديورانت قصة الفلسفة, ترجمة فتح الله لمشعشع بيروت دار الجيل 2001.

2/ افلاطون في الفضيلة محاورة ميمون, القاهرة, دار قباء للطباعة والنشر 2001.

3/ افلاطون الجمهورية, ترجمة شوقي داود بيروت دار التميز د, ت.

4/ ارسطو السياسة ترجمة احمد لطفي السيد ط1القاهرة مطبعة لجنة التاليف والترجمة والنشر ,2011.

5/ باروخ سبينوزة علم الاخلاق ترجمة جلال الدين سعيد ,ط1بيروت اكتوبر 2009.

6/ فولتير، كانديدأو التفاؤل ،ترجمة أنا ماريا شقير بيروت ،دار مكتبة الهلال 2005.

7/ فولتير في التسامح ترجمة ،هنري عبودي ،سوريا دمشق ،دار بيترا للنشر والتسامح إيمانويل كانط نقد ملكة الحكم ترجمة غانم هنا مركز الدرسات الوحدة العربية. الطبعة الأولى بيروت سبتمبر 2005.

8/ إيمانويل كانط نقد العقل العملي ترجمة غائم هنا مركز الدرسات الوحدة العربية الطبعة الأول أكتوبر 2008.

9/ شوبنهاور، آرثر العالم إرادة وتمثلا، المجلد الأول، ترجمة: سعيد توفيق (القاهرة: المركز القومي للترجمة (2010).

10/ كلي رايت تاريخ الفلسفة الحديثة، ترجمة: محمود سيد أحمد القاهرة: كلمات عربية للترجمة والنشر، 2012.

11/ فريدريك نيتشه في جينالوجيا الأخلاق ترجمة فتحي المسكيني دار سيناترا – المركز الوطني للترجمةتونس2010.

12/فريدريك نيتشه ، أصلا الأخلاق وفصلها ترجمة حسن قبيسي، المؤسسة الجامعية للدراسات ،والنشر بيروت،1983.

13/ فريدريك نيتشه مولد التراجيديا ترجمة شاهر حسين عبيد دار حواء للنشر والتوزيعة ط1 2008.

14/ فريدريش نيتشه ماوراء الخير والشر ترجمة جيزيلا فالور حجار دار الفرابي شركة المطبوعة لبنانية ،ط1 2003.

15/ هنري برغسون التطور المبدع، ترجمة جميل صليبا، اللجنة اللبنانية لترجمة الروائع بيروت، المكتبة الشرقية 1981.

16/ هنري برجسون التطور الخالق، ترجمة محمد محمود قاسم مراجعة نجيب بلدي تقديم رمضان بسطاويسي محمد (القاهرة: المركز القومي للترجمة (2015).

17/ هنري برغسون بحث في المعطيات المباشرة للشعور، ترجمة الحسين الزاوي المنظمة العربية للترجمة بيروت – لبنان، ط1، 2009.

18/ كروتشيه ، فلسفة الفن، ترجمة سامي الدروبي المركز الثقافي العربي الطبعة الأولى تشرين أكتوبر 2009.

19/ قد تكون الديانة تجسيد للعقل عن جورج سنتيايا وكتابه حياة العقل، ترجمة رجائي عط ية ،دار الهلال 2009.

20/ جون ديوي الديمقراطية والتربية، الناشر مطبعة لجنة تأليف والترجمة ،والنشر القاهرة ،1946،1360.

مراجع:

1/ رواية عن تاريخ الفلسفة ،عالم صوفيا ترجمة لطفي نشر وتوزيع سوريا ط1دمشق 1997.

2/ تاريخ الفلسفة الحديثة ،يوسف كرم ، مؤسسة هنداوي للنشر، المملكة المتحدة، 2012.

3/ سعيد محمد توفيق ميتافيزيقيا الفن عند شوبنهاور دار التنوير لطباعة والنشر ط1 1983.

4/ محمد سيد أحمد المسير المجتمع المثالي في الفكر الفلسفي وموقف فلاسفة الإسلام منه مؤسسة علوم القرآن دمشق بيروت .

5/ هنري برغسون الأعمال الفلسفية الكاملة ،القاهرة: دار المصرية العامة للكتاب (2007).

6/ برتراند رسل تاريخ الفلسفة الغربية الكتاب الثالث – الفلسفة الحديثة، ترجمة: د. محمد فتحي الشنيطي، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

7/ خديجة زتيلي بنديتو كروتشة والنزعة التاريخية المطلقية المركز العربي الإسلامي للدرسات الغربية ، 2007.

مواقع الكترونية:

1/ محمود محمد علي التصوف والمنطق عند برتراند راسل ، وتم نشره على موقع–www.noor book.com بتاريخ 18 سبتمبر 2021 .

2/ aljazeera.net المرجع: "رينيه ديكارت أبو الفلسفة الحديثة ورائد الميتافيزيقا" تم الاطلاع عليه في: 24 أفريل على الساعة 12:00 ليلاً.

3/ مقال من الإنترنت (بدون رابط مباشر) عنوان: "استخدم سبينوزا المنهج الهندسي" في كتابيه: "مبادئ الفلسفة الديكارتية" و"علم الأخلاق" تم الاطلاع عليه في: 24 أفريل على الساعة 12:00 ليلاً.

4/ موقع إلكتروني: الإنسان الخارق السوبرمان أيقون التحول في الأخلاق والسلوك تم الاطلاع عليه في: 1 ماي 2025 ليلاً.

5/ موقع إلكترونيlomustansiyaah.edu.aq :تم الاطلاع عليه في: 28 أفريل مساءً في توقيت 8:17.

6/ موقع هنداوي(https://www.hindawi.org)[https://www.hindawi.org] : المرجع: هنري برغسون، المادة والذاكرة، ترجمة إمام عبد الفتاح إمام تم الاطلاع عليه في: 14 ماي 2025.

7/ pilosophy nou المرجع: "الوعي هنري برغسون وإدراك الزمن" تم الاطلاع عليه: 12:23 صباحاً، ماي 2025.

8/(http://www.almasryalyoum.com) المرجع: "ترجمات.. «هكذا تكلم زرادشت.. كتاب للكل ولا لأحد» لفريدريك نيتشه"تم الاطلاع عليه في: 11:00 ليلاً.